

بلاغة النّظم في آيات التّحيّة

الدكتور/ محمد بن علي الصامل

قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي — كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المتقين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، ومن اهتدى بهديه ، واستن بسنته إلى يوم الدين ، وبعد :

فمما تتميز به المجتمعات البشرية أن الإنسان حين يقابل إنساناً آخر فإن كل واحد منهما يرغب في معرفة موقف هذا الآخر منه ، أيستريب به ويتخذ ما يحميه منه ؟ أم يأنس به ويطمئن إليه ؟

ولذلك يلجأ الإنسان إلى محاولة إشعار الآخر بموقفه منه عن طريق تصرف سريع على هيئة عبارة يلقبها ، أو إشارة يؤديها ؛ ليشعر الآخر بموقفه منه ، فإن كان الموقف إيجابياً متمثلاً بشيء من الود ، والرغبة في إزالة الوحشة بينهما ، فإن ما يكون متبادلاً بينهما يسمى (التحية) ؛ لظهور علاماته بادية على محيا الإنسان سواء أكان ذلك إشارة أم عبارة .

وتختلف المجتمعات في ما يكون بينها من التحايا ، والمجتمع الإسلامي واحد من هذه المجتمعات تنتشر فيه مجموعة من التحايا أشهرها ، وأكثرها تداولاً هي تحية الإسلام الخالدة (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ؛ لأن الشارع الحكيم أمر بها وحث على إشاعتها ، وتداولها بين المسلمين ؛ ولذلك فأظنها أكثر عبارة تستخدم في العالم والله أعلم ؛ لأنها التحية المشتركة بين الشعوب الإسلامية .

وقد ورد في القرآن الكريم في مواضع عديدة الإشارة إلى التحية سواء بنصها أم بالإخبار عنها ووصفها ، ورأيت تخصيص هذا البحث لدراسة مواضع التحية في القرآن الكريم ، ورصد ما يمكن إبرازه من أوجه بلاغتها ، ورأيت أن يكون عنوانه : (بلاغة النظم في آيات التحية) .

وجاء البحث في مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة على النحو الآتي :

فالمهيد: تضمن الحديث عن معنى التحية ، وأنواعها ، وفوائدها ، ثم بيان المؤلفات في موضوع التحية ، سواء أكانت مؤلفات قديمة أم حديثة .

المبحث الأول: كان عن التحية في القرآن ، تتبعت فيه مواضع آيات التحية في القرآن ، وحددت الألفاظ التي وردت بها ، وبينت العلاقة بين التحية والسلام ، والاستئناس ، والاستئذان .

المبحث الثاني: عرضت فيه أنواع التحية في القرآن من جانبين : الأول من حيث مصدر التحية ، ووجهتها ، والجانب الثاني أنواعها من حيث صيغها ، فذكرت تحية البدء ، وتحية المرء لنفسه ، والتحية لغير المسلم ، وتحية الرد ، وتحية المتاركة ، ثم وازنت بين بعض صيغ التحية .

المبحث الثالث: كان عن المظاهر الأسلوبية في صيغ التحية ، وشمل الحديث مفردات التحية التي وردت في القرآن الكريم ، فتم دراسة المفردة الأولى لفظ السلام وما وردت فيه من مواضع ، والمفردة الثانية الجار والمجرور ، كما شمل هذا المبحث دراسة دلالة جملة التحية على الخبرية والإنشائية ، وتكرار السلام ، وتأکید المدح بما يشبه ضده .

أما الخاتمة افقد لخصت فيها ما ورد في البحث ، وذكرت بعض النتائج والمقترحات .

وحرصت على أن يكون هذا البحث شاملاً لكل ما يتعلق بنظم صيغ التحية، وبيان مواضعها ، وعلاقة ذلك بمقاماتها التي وردت فيها ، والوقوف على ما فيها من لطائف بلاغية .

ومن توفيق الله للباحث أن هيا الله لقراءة بحثه هذا فاحصين كريمين تفضلاً بقراءته وأسدداً للباحث ملحوظات مهمة انتفع بها ، وعدل بحثه في ضوئها ، فجزاهما الله عن الباحث وعن العلم خير الجزاء .

والشكر موصول لهيئة تحرير مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على حسن اختيارها للفاحصين ، وكريم تعاونها مع الباحثين .
ولقد سعت إلى الإتقان وحرصتُ عليه ، فما تحقّق من ذلك فمن توفيق الله وحده ، وإن كان غير ذلك فالكمال له سبحانه .
والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد :

أولاً : معنى التحية ، وأنواعها ، وفوائدها :

معنى التحية :

الاشتقاق اللغوي :

التحية: مشتقة في اللغة من مادة (حيي) ، وهي مصدر الفعل (حيي) ، فهي على وزن تفعلة ؛ لأنها في الأصل (تحية) مثل توصية ، وتسمية ، وترضية ثم أدغمت الياء في الياء ، وصارت (تحية)^(١) .

معاني الفعل (حيي):

يأتي الفعل (حيي) لمجموعة من المعاني في اللغة ، فيقال : حيّاك ، من الحياة بمعنى : أبقاك ، ويقال : هو من استقبال الحيا ، وهو الوجه ، ويقال : ملّكك ، وفرّحك ، وسلّمك من السلامة ، ويقال : سلّم عليك من التحية^(٢) .

(١) ينظر : أحكام القرآن لابن العربي ٤٦٤/١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٧/٥ ، والتفسير

الكبير للفخر الرازي ١٦٦/١٠ ، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠٤/١٨ .

(٢) ينظر : القاموس المحيط (حيي) ١٦٤٩ ، ولسان العرب (حيي) ٢١٦/١٤ ، كما ينظر : أدب

الكاتب لابن قتيبة ٤٥-٤٦ ، وديوان المعاني لأبي هلال ٢١٩/٢ ، والزاهر لأبي بكر الأنباري ١/

١٥٨-١٥٥ ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٧١/١ ، ومنال الطالب لابن الأثير كذلك

٣٣٨ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٤٦٤/١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٧/٥ .

مفهوم التحية وتعريفها :

يبدو أن جميع المعاني السابقة المذكورة للفعل (حيي) استثمرت في تحديد مفهوم التحية ، وتم الربط بين تلك المعاني وتعريف التحية ، فقد ذكر الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) أن التحية " من الحياة ، ثم جُعِلَ ذلك دعاءً تحيةً ؛ لكون جميعه غير خارج عن حصول الحياة ، أو سبب حياة إما في الدنيا أو الآخرة " (١) ، وورد عند الكيا الهراس (٥٠٤هـ) أن : " أصل التحية : الدعاء بالحياة وطولها ، ثم استعملت في كل دعاء " (٢) ، ويبدو أن ابن عاشور (١٣٩٣هـ) أفاد من ذلك كله ، فعرف التحية في ثلاثة مواضع من تفسيره ؛ الأول قوله التحية : " اسم جنس لما يفتح به عند اللقاء من كلمات التكرمة ، وأصلها مشتق من مصدر حيّاه ، إذا قال له عند اللقاء : حياك الله ، ثم غلبت في كل لفظ يقال عند اللقاء " (٣) ، وفي الموضع الثاني جعل " أصله في اللغة : دعا له بالحياة ، من قبيل النحت من قول القائل : " حياك الله " أي : وهب لك طول الحياة " (٤) ، وفي الموضع الثالث يقول : " التحية : الكلام الذي يُتَخاطَبُ به عند ابتداء الملاقاة ؛ إعراباً عن السرور باللقاء من دعاء ونحوه ، وهذا الاسم في الأصل مصدر حيّاه ، إذا قال له : أحياك الله ، أي : أطال حياتك ، فسمي به الكلامُ المُعْرَبُ عن ابتغاء الخير للملاقى ، أو الثناء عليه ، لأنه غَلَبَ أن يقولوا : " أحياك الله " عند ابتداء الملاقاة ، فأطلق اسمها على كل دعاء وثناء يقال عند الملاقاة " (٥) .

(١) المفردات للراغب ١٤٠ .

(٢) أحكام القرآن للکيا الهراس ٤٣١/٢ .

(٣) تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ١٠٣/١١ .

(٤) تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ١٤٦/٥ .

(٥) تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ٥١/٢٢ .

وللشيخ عبد الرحمن السعدي (١٣٧٦هـ) - رحمه الله - تعريف دقيق للتحية يقول فيه : " التحية هي اللفظ الصادر من أحد المتلاقيين على وجه الإكرام والدعاء ، وما يقترن بذلك اللفظ من بشاشة ونحوها " (١) .

وتوسع المتأخرون في تعريف التحية ، فأصبحت سلوكاً يبدأ الناس به مقابلتهم وتجمعاتهم (٢) ، ولهذا لا تنحصر التحية في القول ، بل تشمل الحركات والإشارات . ويمكن أن نلخص مفهوم التحية بالآتي : هي العبارة أو الحركة والإشارة التي تصدر من أحد المتلاقيين وتنبي عن تقدير المحيي للمحيا ، واحترامه له (٣) .
ولذلك فللتحية ثلاثة عناصر :

الأول : التلاقي ، والثاني : العبارة أو الإشارة ، والثالث : تكريم المحيا ولو كان في الظاهر .

فإن فُقدَ واحد من هذه العناصر فإني أرى اختلال دلالتها على التحية والله أعلم ، وسنحتاج إلى تذكر هذه العناصر في مناقشاتنا لصيغ التحية وتصنيفها .

أنواع التحية :

لعل ما ورد في آخر الحديث عن معنى التحية يكون معيناً على تصور أنواعها فمن حيث صور التعبير عن التحية يكون منها : الحركات والإشارات ، ومنها الأقوال والعبارات .

فمن التحية بالحركات والإشارات ما ذكره الفخر الرازي (٦٠٦هـ) من أن : " تحية النصاري : وضع اليد على الفم ، وتحية اليهود بعضهم لبعض : الإشارة بالأصابع ، وتحية الجوس : الانحناء " (٤) .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤١٢/١ ، وينظر تحية السلام في الإسلام أحكام وآداب ٣٣/١ .

(٢) ينظر : الموسوعة العربية العالمية ١٤٠/٦ .

(٣) وقد تستخدم التحية في الوداع والمشاركة كما سيأتي .

(٤) التفسير الكبير ١٦٨/١٠ .

وذكر ابن الخيمي (٦٤٢هـ) مجموعة من التحايا الحركية عند الأمم ، مثل :
تحية الأكاسرة : السجود قدام الملك على الأرض ، وتقبيل الأرض .
وتحية ملك الروم : كشف غطاء الرأس ، وإيماء المُقبِل عليه من بُعد بتنكيس رأسه .
وتحية عظماء الروم : تصليب الداخل على وجهه ، والإيماء به من بُعد إلى العظيم .
وتحية ملوك النوبة : إيماء الداخل عليه كأنه يقبله ، وجعل يديه جميعاً على وجهه .
وتحية ملوك حمير : جعل إصبع الداخل على وجهه ، وإيماءه إليه بالدعاء .
وتحية ملوك السودان : وضع يد الداخل على كتف الملك ^(١) .
وقد جعل البقاعي (٨٨٥هـ) من التحيات لله : القيام له ، والركوع ،
والسجود ^(٢) .

فهذه الأنواع من التحية تعتمد على الحركة والإشارة دون القول والعبارة عدا ما
جُعِلَ لله من القيام والركوع والسجود فهو مصحوب بعبارات حددها الشارع
الحكيم ، أو ما ورد من الإشارة إلى الدعاء في تحية ملوك حمير .
وتوسع المتأخرون في أنواع التحية لتشمل : التحية العسكرية ، وتحية العَلَم ، وغير
ذلك من أنواع التحايا المُحدثة المعتمدة على الحركات ^(٣) .
وأما التحايا القولية فكثيرة جداً أعرض شيئاً منها بإيجاز :
فمنها تحايا الجاهلية : (عم صباحاً ، و عم ظلاماً) أو (أنعم صباحاً ، وأنعم
ظلاماً) ، و (أبيت اللعن) ، و (اسلم وانعم) ، و (عش ألف سنة) و (حييتم
صباحاً) و (حييتم مساءً) ، و (أنعم الله بك عينا) ، وهذه التحايا الجاهلية ،
وردت نصوص في النهي عن استعمال بعضها ^(٤) .

(١) ينظر شرح لفظ التحيات لابن الخيمي (ضمن ثلاث رسائل في اللغة) ٤٧-٤٨ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٨٥/١ .

(٣) ينظر : الموسوعة العربية العالمية ١٤٠/٦-١٤١ .

(٤) ينظر : المصنف لعبد الرزاق ٣٨٥/١٠ ، وإصلاح المنطق لابن السكيت ٣٢٣ ، و الحيوان
للجاحظ ٣٢٨/١ ، و أحكام القرآن لابن العربي ٤٦٤/١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي =

ومن التحايا القولية : قولهم (مرحباً) ، و (أهلاً وسهلاً) ، و (كيف أصبحت ؟) ، و (وكيف أمسيت ؟) ، وهذه التحايا قد تكون مصحوبة بالتحية بالسلام ، وقد تكون منفردة عنها ^(١) .

ومن التحايا قولهم (صباح النور) ، و (صباح الخير) ، وقد نقل الشيخ بكر أبو زيد في معجم المناهي اللفظية أن أصل هذه التحية مجوسية ^(٢) .
وأختم التحايا القولية بتحية الإسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، التي وجدت من العناية والاهتمام بدراستها من الناحيتين : الفقهية ، والاجتماعية ما سيتبين عند عرض المؤلفات فيها بعد قليل إن شاء الله .

فوائد التحية :

أورد الثعالبي (٤٢٩هـ) قولاً لابن عباس رضي الله عنه يقول فيه : " لكل قادم دهشة فابدؤوه بالتحية " ^(٣) ، فإذا كانت التحية بالسلام فهذا أدعى للطمأنينة ، والاستئناس بالمُسَلِّم ، ولذلك كان من السنة أن يبدأ المتكلم بالتحية بالسلام ؛ لأن فيها : " إشعاراً بالسلامة وتفاؤلاً بها وإيناساً لمن يخاطبه ، وتبركاً بذكر الله " ^(٤) ، ثم إن المدخول عليه لا يعلم عن حال الداخل عليه أيطلبه في خير أو شر ؟ ، أهو مسلم

= ٢٩٧/٥ ، والكاشف عن حقائق السنن للطبري ٢٠/٩ ، والتفسير الكبير للفخر الرازي ١٧١/٢٣
وبدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٢٤/٢ ، والآداب الشرعية لابن مفلح ٣٨٤/١ ، وفضل الله الصمد ٤٥١/٢ ، والأمر بالاتباع للسيوطي ٢٦٥ ، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠٤/١٨
وبلسوغ الأرب في معرفة أحوال العرب لمحمود شكري الألوسي ١٩٣/٢-١٩٤ ، ومعجم المناهي اللفظية ٣٨ .

(١) ينظر : الأوائل لأبي هلال العسكري ١٣٦ ، و تحفة الأحوزي ٣/٨ ، ٤ ، و إحكام صناعة الكلام ٧٢ ، ٧٣ ، والآداب الشرعية لابن مفلح ٣٨٠/١ ، والأمر بالاتباع للسيوطي ٢٦١ ، ٢٦٥ .

(٢) ينظر : معجم المناهي اللفظية ٢٠٨ .

(٣) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ٣٠ .

(٤) تحفة الأحوزي ٤٧٩/٧ .

أم محارب ؟ فإذا بدأه بالتحية بالسلام فقد بشره بالسلامة ، وأمنه من الخوف ، وأدخل الطمأنينة إلى نفسه ^(١) .

وفي إفشاء السلام : " حصول المحبة بين المتسلمين ، وهي كلمة إذا سمعتها أخلصت القلب الواعي لها عن النفور إلى الإقبال على قائلها " ^(٢) .

ثانياً : المؤلفات في موضوع التحية :

المؤلفات القديمة :

(كتاب اللقاء والتسليم) لمحمد بن يحيى الصولي (٣٣٥هـ) ، لم أقف على الكتاب ، ولكنني وقفت على إشارة إليه في حديث مؤلفه عن دعاء المكاتبات في كتابه أدب الكتاب ^(٣) ، ويظهر من إحالته عليه أنه يعنى برصد العبارات التي تقال في اللقاء والتسليم ، وشواهداها من كلام العرب .

(كتاب التحايا والهدايا) لعبد الكريم بن محمد السمعاني (٥٦٢هـ) ، ولا أعرف عن هذا الكتاب سوى ما ذكر من أنه مكون من ست طاقات ^(٤) .

(شرح لفظ التحيات) لأبي طالب محمد بن علي ابن الخيمي (٦٤٢هـ) ، وهو رسالة مختصرة جداً تقع في عشر صفحات مطبوعة ^(٥) ، ذكر فيها معنى التحية والتحية عند الأمم ، ثم بيان معنى التحيات .

وأفرد ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) رحمه الله دراسة نفيسة في كتابه (بدائع الفوائد) عن عبارة : (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) تضمنت مجموعة قيمة من المسائل اللغوية والفقهية ^(٦) ، وقد أقدت منها في هذا البحث .

(١) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي ١٦٨/١٠ ، ١٧٤/٢٣ ، ١٨٦/٢٥ ، وتفسير تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٥٧/٧ .

(٢) فضل الله الصمد ٤٤٤/٢-٤٤٥ .

(٣) ينظر : أدب الكتاب للصولي ١٧٥ .

(٤) ينظر : الأنساب للسمعاني ٢٥/١ .

(٥) ينظر شرح لفظ التحيات لابن الخيمي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ضمن (ثلاث رسائل في اللغة ٤٧-٥٦ .

(٦) ينظر كتاب : بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١١٢/٢-١٦٩ .

(رسالة الرد على القائل بوجوب التحية) ^(١) لمحمد بن علي الشوكاني
(١٢٥٠هـ) ، ولم أقف على الكتاب ، ويظهر من عنوانه أنه كتاب فقهي .

المؤلفات الحديثة :

جل المؤلفات الحديثة التي وقفت عليه في موضوع التحية تناولتها من جانبين :
الجانب الفقهي ، والجانب الاجتماعي ، وسأعرض ما وقفت عليه من مؤلفات مرتبة
وفق زمن تأليفها ، أو طبعها

(عقد الزبرجد في تحية أمة محمد) تأليف أسعد بن عبد العزيز العصيمي ، كتب
مقدمته في ١٧/٨/١٤٠٤هـ — ^(٢) ، ونشره عام ١٤٠٥هـ ، وقد عرض المؤلف
الفاضل الأحاديث الواردة في تحية الإسلام ، واعتنى بتخريجها ، وشرح مفرداتها ،
وقسم الكتاب ثمانية كتب كل واحد منها يتناول موضوعاً من موضوعات تحية
الإسلام .

(آداب السلام والمصافحة والمعانقة والاستئذان) تأليف أبي حذيفة إبراهيم بن
محمد ، والكتاب رسالة مختصرة تضمنت حديثاً عن بعض أحكام السلام ، لم يشر
المؤلف في المقدمة إلى تاريخ تأليفه ، غير أن الطبعة التي وقفت عليها هي الطبعة الثانية
ونشرت في عام ١٤١٠هـ .

(تذكير الأنام بأحكام السلام) للشيخ عبد الله بن جار الله الجار الله ، كتب
مقدمته في ٤/٤/١٤١١هـ — ، ونشره في العام نفسه ، والكتاب رسالة صغيرة في
حجمها ، مفيدة في موضوعها ، تضمنت عدداً من أحكام السلام .

(الإعلام ببعض أحكام السلام) للشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم ،
كتب مقدمته في ١٠/٦/١٤١١هـ ، ونشره في عام ١٤١٢هـ ، وهو رسالة

(١) ينظر : البدر الطالع ٢/٢٢٠ .

(٢) ينظر : عقد الزبرجد ١٢ .

صغيرة الحجم ، مفيدة في بابها ، مشابهة للرسالة السابقة في الحجم ، ومختلفة عنها في عدد من الموضوعات .

(فتح السلام في أحكام السلام) للدكتور مساعد بن قاسم الفالح ، لم يذكر تاريخ تأليفه ، ولكنه نشره عام ١٤١٦هـ ، والكتاب يقع في عشرة فصول فيها عدد كثير من المباحث الفقهية المهمة ، وهذا الكتاب أوسع من الكتب السابقة .

(تحية السلام في الإسلام : أحكام وآداب) للدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطريقي ، كتب مقدمته في شهر رجب من عام ١٤١٨هـ ، ونشره عام ١٤٢٢هـ ، وهو أوسع ما وقفت عليه مما كتب في تحية الإسلام ، ويقع في مجلدين كبيرين اشتملا على ثمانية فصول فيها مجموعة كثيرة من المطالب والمباحث ، يعرض في كل موضوع أدلته ، ويختتمه باستنباط نتيجته .

وكل الكتب السابقة اقتصرت على عرض الأحاديث والأحكام الفقهية في السلام ، وإن تضمن بعضها إشارة إلى بعض صيغ التحية ، ولكن دون مناقشة للصيغة ، بل لذكر حكمها من حيث جواز استعمالها من عدمه .

المبحث الأول : التحية في القرآن :

مواضع آيات التحية في القرآن :

ورد ذكر التحية أو الإشارة إليها في عدد من المواضع في القرآن الكريم على النحو الآتي :

لفظ التحية :

جاء لفظ التحية بأربع صيغ : موزعة بين الاسمية والفعلية، الأولى والثانية أسماء ، والثالثة والرابعة أفعال :

فالأولى : (تحية) مفرد نكرة ، وردت في مواضع ثلاثة : في الآية (٨٦) من سورة النساء ، وفي الآية (٦١) من سورة النور ، وفي الآية (٧٥) من سورة الفرقان ، والمراد بها التحية عامة سواء أكانت بالسلام أم بغيره .

والثانية : (تحيتهم) مفرد مضاف ، وردت في مواضع ثلاثة كذلك : في الآية (١٠) من سورة يونس ، و في الآية (٢٣) من سورة إبراهيم ، و في الآية (٤٤) من سورة الأحزاب ، والمراد بها في المواضع الثلاثة التحية بالسلام ، وهي إخبار عن التحية وحكاية لها ؛ لأن لفظ (تحيتهم) في المواضع الثلاثة أُخبر عنه بأنه سلامٌ ، وتفسير هذا والله أعلم أن التحية يحتمل أن تكون بالسلام وبغيره - كما مرَّ آنفاً - فكان الإخبار عنها بكلمة (سلام) قاطعا بتحديد المراد

والثالثة : (حيَّوك) بصيغة الفعل الماضي ، ورد في موضع واحد في الآية (٨) من سورة المجادلة ، والمراد بها حكاية التحية والإخبار عنها ، مع ملاحظة أن ما صدر من اليهود ، ووصف بأنه تحية جاء على سبيل المشاكلة ، لأن معناه الظاهر أنه تحية ، ولكن مراد اليهود ليس كذلك ، بل الدعاء على رسول الله ﷺ بالموت ، والتحية تكون بالدعاء للمحيِّ ، وليس بالدعاء عليه ، ولكن نص القرآن على أنها تحية حين عبّر بحصولها منهم حسب التعبير بالفعل الماضي ، وهذا يلائم المنهج الإسلامي في التعامل وفق الظاهر ، وأما الباطن فيوكل أمره إلى الله .

والرابعة: (فحيوا) بصيغة فعل الأمر ، وجاء في موضع واحد في الآية (٨٦) من سورة النساء ، ودلالة هذه الصيغة تشمل أنواع التحية ، وإن كان المراد محدداً بما كان أحسن من تحية المبتدئ ؛ لتكون صيغة الرد أحسن .

لفظ السلام :

وجاء التعبير فيه بصيغتي الاسم والفعل كذلك .

فصيغة الاسم جاءت معرفة بلفظ (السلام) وقد وردت في سبعة مواضع ، منها ثلاثة مواضع تخص التحية ، موضعان منها بنص التحية ، وهما الآية (٣٣) من سورة مريم ، والآية (٤٧) من سورة طه ، والموضع الثالث إخبار عن التحية وقد جاء في الآية (٩٤) من سورة النساء .

أما بقية مواضع لفظ (السلام) فهي إما صفة لله جل وعلا كما في الآية (٢٣) من سورة الحشر ، أو صفة للجنة ، كما في الآيتين : (١٢٧) من سورة الأنعام ، و(٢٥) من سورة يونس ، أو بمعنى السلامة كما في الآية (١٦) من سورة المائدة ، مع أن آيتي وصف الجنة لا تخلوان من الدلالة على التحية ، فقد ذكر الفخر الرازي (٦٠٦هـ) أن من أسباب تسميتها بدار السلام : " لأنه تعالى يسلم على أهلها ، قال تعالى : ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ ، والملائكة يسلمون عليهم أيضاً ، قال تعالى : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴿ ، وهم أيضاً يحيي بعضهم بعضاً بالسلام ، قال تعالى : ﴿تَحِيَّاتُهَا سَلَامٌ﴾ " (١) ، فكثرة التحية بالسلام في الجنة جعلها داراً للسلام .

وذكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) أن " إضافتها إلى التحية ضعيف من وجهين : أحدهما : أن التحية بالسلام مشتركة بين دار الدنيا والآخرة ، وما يضاف إلى الجنة لا يكون إلا مختصاً بها كالخلد والقرار والبقاء . الثاني : أن من أوصافها غير التحية ما هو أكمل منها ، مثل كونها دائمة ، وباقية ودار الخلد ، والتحية فيها عارضة عند التلاقي والتزاور ، بخلاف السلامة من كل عيب ونقص وشر ، فإنها من أكمل أوصافها المقصودة على الدوام التي لا يتم النعيم إلا به ، فإضافتها إليه أولى ، وهذا ظاهره " (٢) ، ومع ما رآه ابن قيم الجوزية رحمه الله فإنه لا يعارض ما أورده الرازي آنفاً ؛ لسببين أولهما أن الرازي لم يقصر ذلك على التحية ، بل جعله أحد الوجوه المحتملة ، والثاني أن ابن قيم الجوزية نفسه يرى أنه أولى ، وهذا لا يعني امتناع المرجوح ، والله أعلم .

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ٦١/١٧ .

(٢) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٣٤/١-١٣٥ ، وينظر بدائع التفسير ١٨١-١٨٠/٢ .

وأما صيغة (سلام) النكرة ، فقد وردت مرفوعة (سلام) في عشرين موضعاً ، تسعة عشر موضعاً لها علاقة مباشرة بالتحية سواء أكان بنص التحية ، كما هو في الآيات : (٥٤) من سورة الأنعام ، و (٤٦) من سورة الأعراف ، و (٦٩) من سورة هود ، و (٢٤) من سورة الرعد ، و (٣٢) من سورة النحل ، و (٤٧) من سورة مريم ، و (٥٥) من سورة القصص ، و (٧٣) من سورة الزمر ، و (٢٥) من سورة الذاريات .

أم بالإخبار عن التحية وحكايتها ، كما في الآيات : (١٥) من سورة مريم ، و (٤٤) من سورة الأحزاب ، و (٥٨) من سورة يس ، و (٧٩) ، و (١٠٩) و (١٢٠) ، و (١٣٠) من سورة الصافات ، لأن السلام فيها كلها على غائب ، والتحية - كما مر في تحديد مفهومها - تكون للمخاطب ، فإذا كانت لغائب يكون وصفاً للتحية أو إخباراً عنها ، أو حكاية لها .

وجاء في أربعة مواضع محتملاً للنص والحكاية معاً ، كما في الآيات : (١٠) من سورة يونس ، و (٢٣) من سورة إبراهيم ، و (٤٤) من سورة الأحزاب ، و (٨٩) من سورة الزخرف ، ويلحظ أن ثلاثة من المواضع الأربعة جاء فيها لفظ (سلام) مخبراً به عن لفظ (تحيتهم) .

والموضع المتم للعشرين من لفظ (سلام) المرفوع جاء بمعنى السلامة ، كما هو في سورة القدر ، وهو لا يخلو من دلالة على التحية ، فقد ذكر القرطبي (٦٧١ هـ) أن معناه : " سلام الملائكة بعضهم على بعض " ^(١) ، وذكر ابن عاشور (١٣٩٣ هـ) أن من معاني السلام في آية القدر : " والسلام بمعنى التحية ، والقول الحسن مراد به ثناء الملائكة على أهل ليلة القدر ، كدأهم مع أهل الجنة فيما حكاه قوله تعالى : ﴿ وَالْمَلٰٓئِكَةُ يَدْخُلُوْنَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عُقَبَى الدَّارِ ﴾ " ^(٢) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣٤/٢٠ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير ٤٦٥/٣٠ .

ووردت منصوبة (سلاماً) في سبعة مواضع أربعة منها تضمنت نص التحية وهي الآيات : (٦٩) من سورة هود ، و (٥٢) من سورة الحجر ، و (٢٥) من سورة الذاريات ، و (٢٦) من سورة الواقعة ، وفي موضعين يحتمل أن تكون نصاً أو حكاية للتحية ، وهما الآيتان : (٦٣) ، و (٧٥) من سورة الفرقان ، والموضع الأخير جاء حكاية عن التحية وإخباراً عنها ، وهذا في الآية (٦٢) من سورة مريم .
ويلحظ أن مجيء اللفظ منصوباً بعد القول من مرجحات كون السلام بالحكاية ، وليس بالنص كما سنعرف لاحقاً إن شاء الله .

وجاء (السلام) بصيغة الفعل مرة بفعل الأمر (فسلموا) في الآية (٦١) من سورة النور ، والثانية بالمضارع (حتى تستأنسوا وتسلموا) في الآية (٢٧) من سورة النور كذلك .

وما جاء بصيغة الفعل كله إخبار عن التحية أو حكاية لها ؛ لأن صيغة التحية بالسلام في الأصل تكون بالاسم ، وليس بالفعل .

هذه أهم مواضع التحية في القرآن المتمثلة في لفظي (التحية) ، و (السلام) مع مشتقاتهما ، وقد لاحظت أن لفظ التحية يكون غالباً للإخبار عن التحية أو الحكاية عنها إذا ورد منفرداً عن لفظ السلام ، فإذا اقترن به ، فيحتمل أن يكون الموضع نصاً للتحية أو حكاية عنها ، وفق ما يرجح أحدهما كما سنعرف إن شاء الله .
الاستثناس ، و الاستثذان :

وهناك لفظان لهما علاقة بالتحية في القرآن وهما : (الاستثناس) ، و (الاستثذان) إذ ورد ذكر (الاستثناس) مقترناً بالسلام في قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النور ٢٤/٢٧]

وورد في تفسير (تستأنسوا) أنه الاستئذان قبل الدخول ^(١) ، ولكني لحظتُ في صيغة الاستئذان التي وردت في كتب التفسير ، أو الكتب التي تناولت دراسة تحية السلام أنها تكون بعبارة (السلام عليكم أَدْخِلْ ؟) ^(٢) ، ولهذا فالاستئذان كان بالسلام ، وهذا ما جعلني أورد العبارة (تستأنسوا) ضمن ما يدل على التحية في القرآن ، وقد أفرد الدكتور عبد الله الطريقي حديثاً موجزاً عن (أيهما يكون الأول : السلام ، أو الاستئذان ؟) عرض فيه أقوال الفقهاء ^(٣) ، وخلص إلى جواز الأمرين ، وترجيح تقدم السلام ؛ لاتفاقه مع فعله ﷺ ، وصريح الأدلة ^(٤) .

وأضيف إلى ترجيح تقدم (السلام) أن تأخيره في الآية إنما جاء معطوفاً بالواو ، والعطف بالواو كما هو معروف لا يلزم الترتيب ^(٥) ، يقول الفخر الرازي (٦٠٦هـ) : " لو سلمنا أن الاستئناس إنما يقع بعد السلام ، ولكن الواو لا توجب الترتيب ، فتقدم الاستئناس على السلام في اللفظ لا يوجب تقديمه عليه في العمل " ^(٦) ، ويرى ابن عاشور (١٣٩٣هـ) أن الآية جمعت " الاستئذان والسلام بواو العطف المفيد للتشريك فقط ، فدلّت على أنه إن قدم الاستئذان على السلام ، أو قدم السلام على الاستئذان فقد جاء بالمطلوب منه ، وورد في أحاديث كثيرة

(١) ينظر : تفسير ابن كثير ٨٠/٥ ، و تيسر الكريم الرحمن ٣/٣٦٤ .

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير ٨٠/٥ ، وتفسير التحرير والتنوير ١٨/١٩٧ ، و عقد الزبرجد في تحية أمة محمد ١٨٩ ، وفتح السلام بأحكام السلام ٢٦٤ ، وتحية السلام في الإسلام ٨٠٩/٢ .

(٣) ينظر : تحية السلام في الإسلام ٨٠٨/٢ - ٨١٤ .

(٤) ينظر : تحية السلام في الإسلام ٨١٣/٢ - ٨١٤ .

(٥) ينظر : كتاب معاني الحروف للرماني ٥٩-٦٠ ، و رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي ٤٧٤-٤٧٥ ، والجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ١٥٨-١٦٠ ، وبلوغ الأرب في الواو في

لغة العرب ٢٢٦-٢٢٩ .

(٦) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٣/١٧١ .

الأمر بتقديم السلام على الاستئذان ، فيكون ذلك أولى ولا يعارض الآية " (١) ؛ لأنه يكون من باب التقديم والتأخير ، أي : تسلموا ثم تستأذنوا (٢) .

وقد يتساءل القارئ عن السر البلاغي في تقديم لفظ (تستأنسوا) في آية النور (٢٧) على السلام ! .

أقول والله أعلم : إن الاستئناس من الأنس ، وتقديمه ؛ ليتعرف الداخل بيتاً غير بيته هل ثم إنسان فيه ؟! لهذا يكون التعرف سابقاً للسلام (٣) .

وأما لفظ (تستأذنوا) فقد ورد في قراءة أبي ، وابن عباس ، وسعيد ابن جبير (حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) (٤) ، ولهذا فهو يشترك مع لفظ (تستأنسوا) في ما ذكر من مناقشة .

العلاقة بين التحية والسلام والاستئذان :

التحية والسلام :

مما سبق يتبين وجود علاقة عموم وخصوص بين التحية والسلام ، فالتحية عامة تشمل أنواعاً شتى من التحايا القولية والحركية ، وقد مرَّ في أول البحث أن التحية تكون قولية وحركية ؛ ولهذا فكل سلام تحية ، وليس كل تحية سلاماً (٥) ، ومن ناحية أخرى ففي السلام عموم ليس في كثير من أنواع التحايا فالسلام يكون تحية ، ويكون وداعاً ، ويكون دعاء ، ويكون بمعنى السلامة من كل شر ، والخير والثناء الجميل (٦) ، كما سنعرفه ، ونقف عليه بمشيئة الله عند الموازنة بين صيغ التحية .

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٨/١٩٩ .

(٢) ينظر : الآداب الشرعية لابن مفلح ١/٣٩٤ ، ١/٣٩٨ ، و فضل الله الصمد ٢/٤٩٩ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٣/١٧١ .

(٤) ينظر : تفسير ابن كثير ٥/٨٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢/٢١٣ ، والتفسير الكبير للفخر

الرازي ٢٣/١٧١ ، وتحية السلام في الإسلام ٢/٨٠٤ .

(٥) ينظر : تحية السلام في الإسلام ١/٣٣ .

(٦) ينظر في معاني السلام : الوجوه والنظائر لابن الجوزي ١٤٤-١٤٦ ، ونزهة النواظر له ٣٥٦-

٣٥٨ ، و فضل الله الصمد ٢/٤٥٠ .

السلام والاستئذان :

والذي يدل عليه ظاهر النصوص أن التسليم غير الاستئذان ؛ لأن الاستئذان عمل يسبق التسليم ، أو يأتي بعده ، وقد مرّ آنفاً مناقشة الخلاف في هذه مسألة أيهما يكون أولاً ، وربما يكون الاستئذان بالتسليم ، فيحصل اجتماع الأمرين معاً .

المبحث الثاني: أنواع التحية في القرآن :

تختلف أنواع التحية في القرآن من حيث مصدر التحية ، وصيغها ، فمن حيث المصدر أعني به مُلقّي التحية ومصدرها ، ومن حيث الصيغ أعني به : البدء ، والرد ، والمشاركة .

أولاً : مصادر التحية :

ترد التحية في القرآن الكريم من الله سبحانه ، ومن الملائكة ، ومن الأنبياء ، ومن الإنسان لنفسه ، ومن المؤمن لغيره ، وربما يُختلف في مصدر التحية الموضع الواحد كما سنرى بعد قليل إن شاء الله .

التحية من الله جلّ وعلا :

ذكر جمع من المفسرين عند قوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ [سورة يس ٥٨/٣٦] أن هذا يدل على تحية الله جلّ وعلا لأهل الجنة ، فقد ذكر القرطبي (٦٧١هـ) أن معنى هذه الآية يفسره ما روي " من حديث جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ قال : بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد اطلع عليهم من فوقهم ، فقال السلام عليكم يا أهل الجنة ، فذلك قوله ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ " (١)

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤٥/١٥ ، و الحديث أخرجه ابن ماجه في المقدمة ٦٥/١-٦٦ برقم ١٨٤ ، وتنظر في أقوال المفسرين : تفسير الطبري ٤٥٥/١٠-٤٥٦ ، و تفسير ابن كثير ٦٢١/٥-٦٢٢ ، والتفسير الكبير للفخر الرازي ٩١/١٩ ، و ١٠١/٢٤ ، و روح المعاني للألوسي ٣٧/٢٣ .

ومنه قوله سبحانه : ﴿ قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ۚ وَأُمَّمٌ سَنُنَفِّسُ عَنْهُمْ ثُمَّ يُنصَّبُ عَلَيْهِمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ﴾ [سورة هود ٤٨/١١] ومثل ذلك سلام الله جلّ وعلا على أنبيائه : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وكذلك إل ياسين في سورة الصافات الآيات (٧٩ ، و ١٠٩ ، و ١٢٠ ، و ١٣٠) .

وعند قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۚ تَحِيَّاتٌ فِيهَا سَلَامٌ ۝ ﴾ [سورة إبراهيم ٢٣/١٤] قال القرطبي (٦٧١هـ) : " أي : تحية الله لهم ، أو تحية الملك ، أو تحية بعضهم لبعض " (١) ، وفي موضع آخر قال : " قال ابن عباس : أي يحيي بعضهم بعضاً ، وقيل : تحييه الملائكة ، أو يحييهم رهم عز وجل " (٢) .
التحية من الرسول ﷺ :

أمر الله رسوله محمداً ، أن يحيي الذين يصدقون القرآن ، ويقولون به قولاً وعملاً (٣) ، فقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا نُنَزِّلُ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا يَجْهَلُ ۖ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ [سورة الأنعام ٥٤/٦] يقول القرطبي (٦٧١هـ) : " نزلت في الذين هـى الله نبيه عليه الصلاة والسلام عن طردهم ، فكان إذا رآهم بدأهم بالسلام ، وقال : الحمد لله الذي جعل في أمي من

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١٣/٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٦/١٧ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري ٢٠٦/٥ .

أمرني أن أبدأهم بالسلام " (١)، ثم يعقب على ذلك بقوله : " فعلى هذا كان السلام من جهة النبي ﷺ ، وقيل إنه من جهة الله تعالى ، أي : أبلغهم منا السلام " (٢) .
التحية من عيسى عليه السلام لنفسه :

وردت تحية عيسى عليه السلام لنفسه في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [سورة مريم ٣٣/١٩] .
التحية من الملائكة :

وتكون التحية من الملائكة لأهل الجنة كما في قوله تعالى : ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [سورة الرعد ٢٣/١٣-٢٤] ، يقول الرازي (٦٠٦هـ) : " إن الملائكة مع جلالة مراتبهم يدخلون عليهم ؛ لأجل التحية والإكرام عند الدخول عليهم يكرمونهم بالتحية والسلام " (٣) .

ومن الملائكة - خزنة الجنة - للداخلين إلى الجنة كما في قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [سورة الزمر ٣٩/٧٣] ، يقول القرطبي (٦٧١هـ) : " قال لهم رضوان وأصحابه (سلام عليكم) بمعنى التحية " (٤)

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣٥/٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣٥/٦ .

(٣) التفسير الكبير ٣٦/١٩-٣٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٨٦/١٥ .

ومن الملائكة الموكلين بقبض الأرواح إلى من ستقبض أرواحهم من المؤمنين الطيبين ، كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ أَلْمَلَكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ آذْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل ١٦/٣٢] ، يقول ابن عاشور : " وهو سلام تأنيس وإكرام حين مجيئهم ليتوفوهم " (١) .

ومن الملائكة لإبراهيم عليه السلام ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرِ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِينٍ ﴾ [سورة هود ١١/٦٩] .

التحية من المؤمنين بعضهم لبعض :

وقد يختلف المفسرون في مصدر التحية ؛ لاختلافهم في مرجع الضمير ، كما في قوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/٤٤] ، يقول القرطبي (٦٧١هـ) : " اختلف في الضمير الذي في يلقونه على من يعود ، ف قيل : على الله تعالى ، أي : كان بالمؤمنين رحيمًا ، فهو يؤمنهم من عذاب الله يوم القيامة ، وفي ذلك اليوم يلقونه (و) تحيتهم (أي تحية بعضهم لبعض (سلام) أي : سلامة لنا ولكم من عذاب الله ، وقيل هذه التحية من الله تعالى ، فيسلمهم من الآفات ، أو يبشرهم بالأمن من المخافات ، (يوم يلقونه) أي : يوم القيامة بعد دخول الجنة ... ، وقيل (يوم يلقونه) أي : يوم يلقون ملك الموت ، وقد ورد أنه لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه " (٢) ، وعلى هذا فاحتمال أن تكون التحية : من الله جلّ وعلا إلى المؤمنين ، أو من المؤمنين بعضهم لبعض ، أو من ملك الموت لمن يقبض روحه من المؤمنين .

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٤٤/١٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩٩/١٤ .

التحية من أصحاب الأعراف :

ينادي أصحابُ الأعرافُ أصحابَ الجنة يوم القيامة ، ويحيوهم كما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۚ ﴾ [سورة الأعراف ٤٦/٧] ، يقول الطبري (٣١٠هـ) : " وعلى الأعراف رجال يعرفون أهل الجنة بسيماهم ، وذلك ببياض وجوههم ، ونظرة النعيم عليها ... فإذا رأوا أهل الجنة نادوهم : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ " (١) .

ويلحظ أن التحية في المواضع السابقة كلها متفقة في صيغتها ، إما بلفظ سلام فحسب ، وإما بزيادة اسم الحيّ أو ضميره المجرور بـ على ، ولا غرابة في اتفاق ذلك ، فهذه التحية من الله جلّ وعلا تكرم منه لعباده المؤمنين ، وهي كذلك تحية ملائكته (٢) الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وتحية أنبيائه الذين تلقوها من الله عن طريق الوحي ، وهي تحية عباد الله المؤمنين بينهم ، وتحية أهل الجنة (٣) .

يقول ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) بعد أن وصف فضل تحية الإسلام وكمالها على سائر تحيات الأمم : " ولهذا اختارها الله لعباده ، وجعلها تحيتهم بينهم في الدنيا وفي دار السلام " (٤) .

ولذلك تختلف صيغة التحية حين تكون موجهة لغير مسلم ، كما في التحية من موسى عليه السلام وهارون وفرعون في قوله تعالى : ﴿ فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا

(١) تفسير الطبري ٥/٥٠٣ ، وينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/٢١٣ .

(٢) ينظر : أحكام القرآن للحصاص ٤/٣٧٨ ، وأحكام القرآن للكنيا الهراس ٤/١٣٥ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير للرازي ١٩/٩١ ، و أضواء البيان للشنقيطي ٢/٤٧٨ .

(٤) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ٢/١٥٣ .

رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْتَنكَ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ

وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ [سورة طه ٤٧/٢٠] ، فيلاحظ أنه لم يذكر اسم المحيّا ، ولا ضميره ، كما هو في التحايا السابقة ، بل ذكر بدلاً من ذلك اسم الموصول المفيد للعموم (مَنْ) مع صلته ، وهذا يشمل كل من كان متبعاً للهدى ، وكأنه نوع من الدعوة الموجهة إلى فرعون إلى اتباع الهدى حتى يدخل في حيز المحيّا بهذه التحية ، و لذلك شرعت هذه الصيغة ليحيّا بها غير المسلم ، وقد بوب البخاري رحمه الله لذلك بعنوان : (باب كيف يكتب إلى أهل الكتاب ؟) .

وذكر فيه كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل : " من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ... " (١) .

وقد يخرج عن ذلك أعني تحية غير المسلم لسبب ، كما حصل في تحية إبراهيم عليه السلام لأبيه في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ تَبَرَأْتَ إِلَىٰ إِلَهِكَ يَتَّبِعْكَ الْكَافِرُونَ لَا يَخْلُفُونَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ تَنْتَهِ لِأَرْحَمِنَكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ [سورة مريم ٤٦/١٩-٤٧] ، فإن إبراهيم عليه السلام كان مشفقاً على أبيه ، وقد ناداه بتلطف ورفق بقوله ﴿ يَا أَبَتِ ﴾ أربع مرات قبل هذه الآية ، في قوله سبحانه : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابِعْ لِمَ تَتَّبِعُ مَا لَا يَشْعُرُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٥﴾ يَتَابِعْ إِنِّي كَدِ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٦﴾ يَتَابِعْ لَا تَتَّبِعْ الشَّيْطَانَ إِنَّ

(١) فتح الباري ٤٧/١١ ، وينظر : زاد المعاد ٤٢٦/٢ ، وبدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٤٥/٢ ، وفيه ورد لفظ السلام بصيغة النكرة ، و تحية السلام في الإسلام ٥٥٤/٢ .

الشَّيْطَانُ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿١٩﴾ يَتَأَبَّتْ رِجَّتِي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنْ

الرَّحْمَنِ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٢٠﴾ [سورة مريم ٤٢/١٩-٤٥] ، وهذا يدل على

حرص إبراهيم عليه السلام على سلامة أبيه ، ولعله بسبب ذلك ألقى عليه التحية بهذه الصيغة التي تجمع بين التحية والدعاء بالسلامة شفقة منه وبراً بأبيه ، وقد ورد أن قول إبراهيم هذا ليس سلام تحية ، بل سلام توديع ومتاركة كما صرح بذلك بعض المفسرين ^(١) ، وسيأتي تفصيل ذلك في الحديث عن سلام المتاركة ، والله أعلم.

والموضع الثاني في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا

أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [سورة القصص ٥٥/٢٨]

فهذه تحية من المؤمنين لأهل الكتاب المعرضين عن الحق ، وكانت صيغة التحية لهم بالسلام لأسباب ذكر الطبري (٣١٠هـ) منها : لأنهم كانوا مسلمين على دين عيسى عليه السلام ، أو أنها في قوم كانوا مشركين فأسلموا ، أو قوم من أهل الكتاب أسلموا ، فكان المشركون يؤذونهم ، وكانوا يصفحون عنهم ، ويقولون لهم : ﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٢) ، وقد تكون هذه الصيغة من سلام المتاركة ، كما سنعرف بعد قليل إن شاء الله ، فيكون الغرض منها الإيذان بالانصراف ، وليس التحية للمخاطبين ، والله أعلم .

ثانياً : صيغ التحية :

تختلف صيغ التحية بحسب نوعها من حيث : (البدء ، الرد ، والمتاركة) ، ومما

ورد في القرآن الكريم من ذلك :

(١) ينظر : أحكام القرآن للهراس ٣٢١/٤-٣٢٢ ، و تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ١٢١/١٦ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري ٨٧/١٠-٨٨ .

تحية البدء :

تتميز تحية البدء بأنه ينبغي أن يقدم فيها لفظ السلام على اسم المُسَلَّم عليه أو ضميره ؛ فبهذا البدء تتحقق واحدة من فوائد التحية بالسلام ، وهي إشعار المُسَلَّم عليه بأمانه والدعاء له ، لكون لفظ السلام متضمناً السلامة التي لا حياة ولا فلاح إلا بها ، وعلى هذا كانت تحية البدء في القرآن مثل تحية الله لملائكته ورسله وعباده المؤمنين ، وتحيتهم فيما بينهم ، وتكون بواحدة من الصيغ الآتية : (سلام عليكم) ، أو (سلامٌ) ، أو (سلاماً) ، و المعروف أن تحية الإسلام بصيغتها التامة تكون في البدء : (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، ولم ترد التحية بهذه الصيغة التامة في القرآن الكريم ، وإنما اقتصر على لفظ السلام فحسب ، أو لفظ السلام مصحوباً بالجار والمجرور ، وقد يزيد الأمر فتوصف التحية في القرآن بأنها مباركة وطيبة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَرَكَاةٌ طَيِّبَةٌ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة النور ٢٤/٦١] ، والغريب أن لفظ الرحمة والبركة والجار والمجرور التي تمثل أركان التحية قد وردت دون اقترانها بلفظ السلام وذلك في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [سورة هود ١١/٧٣] ، وستتم مناقشة ذلك في الحديث عن مفردات التحية .

وثمة أمر مهم في تحية البدء في القرآن يحسن التنبيه إليه ، وهو بحسب لفظ السلام بصيغة التذكير في جلّ المواضع ، والسبب - والله أعلم - موافقة ذلك لسنن العرب في كلامها ، يقول ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) : " السلام : دعاء وطلب ، وهم

[العرب] في ألفاظ الدعاء والطلب إنما يأتون بالنكرة إما مرفوعة على الابتداء ، أو منصوبة على المصدر، فمن الأول ويلُّ له ، ومن الثاني خيبةً له وجدعاً وعقراً وترباً وجندلاً ، هذا في الدعاء عليه ، وفي الدعاء له : سقياً ورعياً وكرامةً ومسرّةً ، وجاء (سلام عليكم) بلفظ النكرة كما جاء سائر ألفاظ الدعاء ، وسرُّ ذلك أن هذه الألفاظ جرت مجرى النطق بالفعل ، ألا ترى أن سقياً ورعياً وخبيةً جرى مجرى سقاك الله ورعاك، وكذلك (سلام عليك) جار مجرى : سلّمك الله " (١) .

وهناك سبب آخر في تقدّم السلام على اسم المُسلّم عليه في تحية البدء ، وهو أن السلام دعاء بالخير، و"الأحسن في دعاء الخير أن يتقدّم الدعاء به على المدعو له " (٢) وغير ذلك مما سنعرّفه في الحديث عن الاستهلال بالتحية .

ولا يعني هذا أن صيغة البدء لا تكون إلا نكرة فقد تأتي معرفة ، بل إن صيغة المعرفة هي الصيغة المشروعة في تحية المخاطبة بين المسلمين ، وقد وردت معرفة في القرآن في موضعين هما :

قوله تعالى : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمٍ أُمُوتُ وَيَوْمٍ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [سورة مريم ٣٣/١٩] .

وقوله سبحانه : ﴿ فَأَتَيْنَاهُ فُقُولًا إِنَّا رَسُولًا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِيبَهُمْ ۖ قَدْ جَعَلْنَاكَ بِرَأْيِهِ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَى ﴾ [سورة طه ٤٧/٢٠] .

ويمكن تعليل ذلك أن ما جاء بصيغة المعرفة كان مصدر السلام فيه في الآية الأولى عيسى عليه السلام يسلم على نفسه ، وفي الثانية من موسى عليه السلام لفرعون .

(١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٣٣/٢ .

(٢) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٤٩/٢ .

وأما ما جاء بصيغة النكرة فهو كما سبق من تحية الله للملائكة وعباده المؤمنين ،
 ومجيء لفظ السلام معروفاً يحقق أربع فوائد ذكرها ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) :
 الأولى : الإشعار بذكر الله ؛ لكون لفظ (السلام) من أسمائه جلّ وعلا .
 الثانية : إفادة طلب السلامة من الله جلّ وعلا للمُسَلِّم عليه ، فمَنى ذكر اسم من
 أسماء الله فإنه يُتَعَرَّضُ به ، ويتوسل إلى تحصيل المعنى الذي اشتق منه ذلك الاسم .
 الثالثة : دلالة الألف واللام على معنى العموم في مصحوبها في بعض المواضع .
 الرابعة : أن المعرفة تقوم مقام الإشارة إلى المعين ، ويستغنى بها عن اسم الإشارة ؛
 لتأديتها معناه ^(١) .

وهذه الفوائد الأربع يستغني عنها المقام إذا كان السلام صادراً من الله جلّ وعلا
 يؤكد ذلك ابن قيم الجوزية في قوله : " لأن المتكلم بالسلام هو الله تعالى ، فلم
 يقصد تبركاً بذكر الاسم كما يقصد العبد ، فإن التبرك استدعاء البركة واستجلابها ،
 والعبد هو الذي يقصد ذلك ، ولا قصد أيضاً تعرضاً وطلباً على ما يقصد العبد ،
 ولا قصد العموم ، وهو أيضاً غير لائق هنا ؛ لأنّ سلاماً منه سبحانه كافٍ من كل
 سلام ، ومغني عن كل تحية ، ومُقرَّب من كل أمنية فآدى سلام منه - ولا أدنى
 هناك - يستغرق الوصف ، ويتم النعمة ، ويدفع البؤس ، ويطيب الحياة ، ويقطع
 مواد العطب والهلاك ، فلم يكن لذكر الألف واللام هناك معنى " ^(٢) ، ولعل هذا
 التعليل كافٍ في بيان اختلاف صيغة البدء بين التنكير والتعريف وسيكون للحديث
 عن التعريف والتنكير تفصيل خاص إن شاء الله .

وأما تحية الرد فتكون بذكر اسم المُسَلِّم عليه أو ضميره مسبقاً بحرف الجر
 (على) كما سنعرفه بعد قليل إن شاء الله .

(١) ينظر : بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٣٣/٢ .

(٢) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٤٢/٢ - ١٤٣ .

تحية المرء لنفسه :

لم يرد نص هذه التحية في القرآن إلا تحية عيسى عليه السلام لنفسه في قوله سبحانه حكاية عن عيسى ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [سورة مريم ٣٣/١٩] ، وقد مر الاستشهاد بها آنفاً .

وإنما وردت الإشارة إلى كيفية تحية الإنسان نفسه في قوله سبحانه ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةٌ طَيِّبَةٌ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة النور ٦١/٢٤] ، وورد بيان ذلك ، عن مجاهد وقتادة " قالوا : إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين " (١) .

وهذه التحية لا تختلف عن سابقتها من حيث البدء ، وإن اختلف المفسرون في تقدير لفظ السلام تعريفاً وتنكيراً .

صيغة (السلام على من اتبع الهدى) المستعملة في تحية غير المسلم :

وقد وردت هذه الصيغة في موضع واحد ، وكانت من موسى عليه السلام لفرعون ، في قوله تعالى : ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِibَهُمْ ۚ قَدْ جَعَلْنَاكَ بِقَايَةِ مِّنْ رَبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [سورة طه ٤٧/٢٠] .

(١) المصنف لعبد الرزاق ، ٣٨٩/١٠ ، وينظر : أحكام القرآن لابن العربي ١٣٥٠/٣ ، و١٣٩٦ ، و الجامع للقرطبي ٣١٩/١٢ ، والآداب الشرعية لابن مفلح ٣٧٤/١ ، وتفسير التحرير والتنوير ١٨/٣٠٣-٣٠٤ .

والتأمل لهذه الصيغة يدرك ما تنطوي عليه من دعاء لمن هداه الله إلى اتباع الهدى وفيها حث لسامعها وإرشاد إليه ليسلك طريق الهدى ، ولكن الموضع الذي وردت فيه في القرآن الكريم لم يكن مراداً بها التحية ، بل رجَّح ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) أنها في الآية بل هي خبر محض ، وليست بسلام تحية ؛ لأنها لم تأت في ابتداء الكلام ولا خاتمته ، وإنما جاءت متوسطة بين الكلامين ، ولذا فهي - عنده - إخبار محض " عن وقوع السلامة وحلولها على من اتبع الهدى ، ففيه استدعاء لفرعون ، وترغيب له بما جبلت النفوس على حبه وإيثاره من السلامة ، وأنه إن اتبع الهدى الذي جاءه به فهو من أهل السلام " ^(١) ، ولو لم يكن في هذه الصيغة غير التعريض والحث والإغراء لكان كافياً في إدراك ما تنطوي عليه الصيغة من معان قيمة ، إضافة إلى أنه ليس فيها ما يجرح مشاعر المخاطب بها .

تحية الرد ، أو رد التحية :

وردت الإشارة إلى رد التحية والحث عليها ، وبيان كيفيتها دون ذكر نصها وذلك في قوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها ^٢

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [سورة النساء ٨٦/٤] ، وهذه قاعدة شرعية في ما ينبغي تجاه رد التحية ، فالأولى أن تكون أحسن من البدء ، وإن لم تكن كذلك فلا أقل من أن تكون مماثلة لها ، ومسألة الحسن أو المماثلة ليس مقتصرًا على عدد مفردات التحية كما ورد في السنة في بيان درجات التحية المقتصرة على (السلام) أو التي زاد فيها لفظ (الرحمة) ، أو ما أضيف إليه لفظ البركة ، بل الأمر يتعدى إلى تركيب الصيغة كما سنعرف عند الموازنة بين بعض الصيغ إن شاء الله .

وقد ورد نص الرد في القرآن الكريم في موضعين ، هما :

(١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٤٥/٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [سورة هود ٦٩/١١]

وقوله سبحانه : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ [سورة الذاريات ٢٥/٥١] .

وقد مرّ بنا في أول البحث الاختلاف في كون سلام الملائكة على إبراهيم - في الآيتين - محتملاً أن يكون نصاً أو حكاية ، ولكن ردّ إبراهيم - كما يراه جمع من المفسرين - جاء بنص التحية .

ومما يميز صيغة الرد في الآيتين مجيء لفظ السلام فيها مرفوعاً إيذاناً بكونه نصاً ؛ لأن التقدير (عليكم سلام) ، وبهذا التقدير تتفق صيغة الرد مع ما ينبغي أن تكون عليه من تقديم اسم المردود عليه مسبوقاً بحرف الجر .

استعمال صيغة السلام في المتاركة :

ترد ألفاظ التحية بالسلام في مواضع يتبين من سياقها أنها وردت إشعاراً بالمتاركة أو إيذاناً بالانصراف ، أو تكون للوداع ، ومما يمكن إدراجه في هذا النوع الآيات الآتية:

قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [سورة مريم ٤٧/١٩] .

جاءت هذه الآية في سياق مخاطبة إبراهيم عليه السلام لأبيه ، وقد مرّ ذكرها في الحديث عن تحية غير المسلم ، وأشار هناك إلى ما ورد من احتمال أنها ليست بسلام تحية ، وإنما هي سلام متاركة وتوديع ، وفي ذلك يقول ابن عاشور : " (سلام عليك) سلام توديع ومتاركة ، وبادره به قبل الكلام الذي أعقبه به إشارة إلى أنه لا

يسوؤه ذلك الهجر في ذات الله تعالى ومرضاته ، ومن حلم إبراهيم أن كانت متاركة أباه مشوبة بالإحسان في معاملته في آخر لحظة ^(١) .

و قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [سورة الفرقان ٦٣/٢٥] ، وقد ورد عند بعض المفسرين أن السلام في هذه الآية هو تحية متاركة ، فيقول ابن العربي (٥٤٣هـ) : " قوله تعالى : (سلاماً) فيها وجهان :

أحدهما : أنه بمعنى حسن وسداد .

الثاني : أنه قول سلام عليكم .

قال سيوييه : لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين ، ولكنه على معنى قولهم : تسلماً منكم ولا خير بيننا ولا شر ، قال الفقيه القاضي أبو بكر رحمه الله : ولا نهوا عن ذلك ، بل أمروا بالصفح والهجر الجميل . " ^(٢) ، فكلام ابن العربي وما نقله عن سيوييه ، وتعقيبه عليه يفيد أن السلام - هنا - للهجر الجميل ، وهو لون من المتاركة .

ويؤكد القرطبي (٦٧١هـ) أن السلام في الآية سلام متاركة ، فيقول : " وقد اتفق الناس على أن السفية من المؤمنين إذا جفاك يجوز أن تقول له : (سلام عليك) . . . ذكر النضر بن شميل قال : حدثني الخليل قال : أتيت أبا ربيعة الأعرابي - وكان من أعلم من رأيت - فإذا هو على سطح ، فلما سلمنا ردّ علينا السلام ، فقال : هل لكم في خبز فطير ، ولبن هجير ، وماء نمير ؟ فقلنا : الساعة فارقناه ! ، فقال : سلاماً ، فلم نذر ما قال ، فقال أعرابي إلى جنبه : إنه سألكم

(١) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦/١٢١ .

(٢) أحكام القرآن ٣/١٤١٨ .

متاركة لا خير فيها ولا شر ، فقال الخليل : هو من قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ ^(١) ، فتوضيح الأعرابي ، وتعليق الخليل يؤكد أنه سلام متاركة .

ويعضد ذلك ما أورده الفخر الرازي (٦٠٦ هـ) في قوله : " (قَالُوا سَلَامًا) معناه : لا نجاهلكم ، ولا خير بيننا ولا شر ، أي : نسلم منكم تسليماً ، فأقيم السلام مقام التسليم ، ثم يحتمل أن يكون مرادهم طلب السلامة والسكوت ، ويحتمل أن يكون المراد التنبيه على سوء طريقته ؛ لكي يمتنعوا ، ويحتمل أن يكون مرادهم العدول عن طريق المعاملة ، ويحتمل أن يكون المراد إظهار الحلم في مقابلة الجهل .

قال الأصم : (قَالُوا سَلَامًا) : أي سلام توديع لا تحية ، كقول إبراهيم لأبيه ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴾ ^(٢)

كل ما سبق يؤكد أن السلام في الآية سلام متاركة ، وأختم الحديث عن هذه الآية بحكاية طريفة أوردها القرطبي (٦٧١ هـ) نقلاً عن ابن عطية (٥٤٢ هـ) قال : " ورأيت في بعض التواريخ أن إبراهيم بن المهدي - وكان من المائلين على علي بن أبي طالب رضي الله عنه - قال بحضرة المأمون وعنده جماعة : كنت أرى علي بن أبي طالب في النوم ، فكنت أقول له : مَنْ أنت ؟ فكان يقول : علي بن أبي طالب ، فكنت أجيء معه إلى قنطرة ، فيذهب فيتقدمني في عبورها ، فكنت أقول : إنما تدعي هذا الأمر بامرأة ، ونحن أحق به منك ، فما رأيت في الجواب بلاغة كما يذكر عنه ، قال المأمون : وبماذا جاوبك ؟ قال : فكان يقول لي : سلاماً ، قال الراوي : فكان إبراهيم بن المهدي لا يحفظ الآية ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/٧٠-٧١ .

(٢) التفسير الكبير ٩٤/٢٤ .

سَلاماً ﴿﴾ ، أو ذهبت عنه في ذلك الوقت ، فنبّه المأمون على الآية من حضره ، وقال : هو والله - ياعم - عليُّ بن أبي طالب ! وقد جاوبك بأبلغ جواب ، وخزي إبراهيم واستحيا " (١) .

و قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [سورة القصص ٥٥/٢٨] صرّح الكيا الهراس (٥٠٤هـ) أن السلام في الآية " هو سلام متاركة ، وليس بتحية " (٢) ، وأكد أنه مثل السلام في آيتي مريم والفرقان (٣) ، و ذكر ابن العربي (٥٤٣هـ) أن السلام في هذه الآية ليس " بسلام المسلمين على المسلمين ، وإنما هو بمنزلة قول الرجل للرجل اذهب بسلام أي : تاركني ، وأتاركك " (٤) .

وعقب الفخر الرازي (٦٠٦هـ) على هذه الآية بقوله : " وما أحسن ما قال الحسن رحمه الله في أن هذه الكلمة تحية بين المؤمنين ، وعلامة الاحتمال من الجاهلين " ثم إنه جعلها نظير الفرقان (٥) ، ولا شك في أن احتمال الجاهلين دلالة على مفارقتهم بإحسان .

ويرى القرطبي (٦٧١هـ) أنها متاركة ، وشبهها بآية الفرقان ، وقال في معناها : " أي لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) أي : أمناً لكم متناً فإئنا لا نحاربكم ، ولا نسابكم ، " (٦) ، ثم ختم بقوله : " وليس من التحية في شيء " (٧) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧١/١٣ .

(٢) أحكام القرآن ٣٢١/٤ .

(٣) السابق ٣٢٢-٣٢١/٤ .

(٤) أحكام القرآن ١٤٧٠/٣-١٤٧١ .

(٥) التفسير الكبير ٢٢٥/٢٤ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٩/١٣ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٩/١٣ .

وقال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) عن الآية : " وهذا من أحسن ما يجاب به السفهاء ، وهو أقرب لإصلاحهم ، وأسلم من تزايد سفههم " ^(١) ، ثم عقب في موضع آخر : " والمقصود من السلام أنه سلام المتاركة المكثى بها عن الموادة أن لا نعود لمخاطبتكم " ^(٢) ، ثم نقل قول الحسن آنف الذكر .

و قوله تعالى : ﴿ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزخرف ٤٣/٨٩]

ذكر القرطبي عن هذه الآية قوله : " و (سلامٌ) رفع بإضمار عليكم ، قاله الفراء ومعناه الأمر بتوديعهم بالسلام ، ولم يجعله تحية لهم " ^(٣) .

ويعقب ابن عاشور (١٣٩٣هـ) على هذه الآية بقوله : " وقل لهم إن جادلوك : سلام ، أي سلمنا في المجادلة وتركناها " ^(٤) .

ومما يلحظ على صيغة هذا اللون ما يلي :

أنها كلها جاء لفظ السلام فيها بصيغة التنكير ، ثلاث منها مرفوعة ، وواحدة منصوبة ، ثم إن موضعين جاء فيهما لفظ السلام فحسب ، وموضعين جاء بعده ضمير المخاطب مجروراً ، وتعليل ذلك والله أعلم على النحو الآتي :
أولاً : مسألة تنكير لفظ السلام ، مر آنفاً الإشارة إلى شيء من دلالاته ، وسيرد الحديث في تفصيله إن شاء الله .

ثانياً : أما مسألة الرفع والنصب ، فكما سبقت الإشارة إلى أن الرفع من مرجحات كون التحية بنصها ، والنصب لاحتمال أن تكون نصاً أو حكاية ، ويظهر

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٤٥/٢٠ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١٤٦/٢٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٢٥/١٦ .

(٤) تفسير التحرير والتنوير ٢٧٣/٢٥ .

من مواضع الرفع أن المخاطب بالتحية ففات محددة كما سلف بيان ذلك ومن هنا كانت التحية نصاً ، وأما ما جاء فيه لفظ السلام منصوباً فالخطاب فيه عام يصلح للمخاطبين وغيرهم ممن يحمل صفاتهم ، والله أعلم .

ثالثاً : مسألة مجيء لفظ السلام منفرداً في آيتي الفرقان والزخرف ، ومقترناً بضمير المخاطب في آيتي مريم والقصاص ، ففي آية مريم يخاطب فيها إبراهيم عليه السلام أباه ، ومن زيادة إحسانه إليه وإكرامه له أن قرن ضمير مخاطبته مجروراً بالسلام عليه ، وهذا مؤذن بمزيد عنايته واهتمامه بأبيه ، وتخصيصه بالسلام .
كما أن الاقتران بالضمير المجرور من مرجحات كون التحية بالنص ، وليس بالحكاية (١)

وتسبين أن تحية المتاركة صنفان : الأول متاركة انصراف وهجر ، الثاني متاركة توديع .

الموازنة بين صيغ التحية :

توطئة عن مبدأ التفاضل بين صيغ التحية :

يحسن التنبيه في بداية الحديث عن الموازنة بين الصيغ أن مبدأ التفاضل بين التحايا موجود ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [سورة النساء ٨٦/٤] ، ولكن هل التفاضل يكون بزيادة مفردات التحية كما ورد في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال : " جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : السلام عليكم ، فقال النبي ﷺ : " عشر " ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه ، فجلس فقال : " عشرون " ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه ،

(١) ينظر : أحكام القرآن لابن العربي ١٠٤٨/٣ .

فجلس فقال : ثلاثون " (١) ؟ ، أو أنه يمكن أن يكون باختلاف تركيب الصيغة ، ولو اتفقت مفرداتها من حيث العدد ؟

الحق أن التفاضل يكون في الأمرين معاً ؛ أما زيادة الألفاظ فإنه يتسق مع القول المشهور " الزيادة في المبني تدل على الزيادة في المعنى " .

وأما الاختلاف في التركيب فلكونه يؤثر في تغير المعنى ، كما سنرى في اختلاف آيتي هود والذاريات اللتين تضمنتا رد إبراهيم عليه السلام على الملائكة ، فمع اتحاد العدد في الألفاظ إلا أن التفاضل جاء عن طريق اختلاف التركيب كما سنرى إن شاء الله .

ولعل الفصل في مسألة التفاضل مرتبط بالمعنى ؛ ولذلك قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) : " وتكون التحية أحسن بزيادة المعنى " (٢) ، حتى ذكر ابن عاشور أنه مما قيل إن زيادة الواو في رد السلام مؤذنة بأن الرد أحسن لزيادة الواو فيه عن تحية البدء (٣) ، وانطلاقاً مما سبق يمكن أن تكون الموازنة .

أولاً : الموازنة بين صيغ البدء بالسلام :

الموازنة بين صيغتي السلام على يحيى و عيسى عليهما السلام :
ورد في موضعين في القرآن الكريم السلام على يحيى وعلى عيسى عليهما السلام بصيغتين متشابهتين :

في قوله تعالى : ﴿ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [سورة مريم ١٥/١٩] .

(١) أخرجه أبوداود في سننه (كتاب الاستئذان) باب كيف السلام ٧٧١/٢ الحديث (٥١٩٥) ،

وينظر : تحية السلام في الإسلام ٦٣/١ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١٤٦/٥ .

(٣) ينظر : تفسير التحرير والتنوير ١٤٧/٥ .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ

حَيًّا ﴾ [سورة مريم ٣٣/١٩]

وحين نتأمل ما اتفقتا فيه وما اختلفتا في نلاحظ أن :

مما اتفقت فيه الصيغتان :

١- الابتداء بلفظ السلام .

٢- مجيء ضمير المحيّا مجروراً " على " .

٣- ذكر الأزمان الثلاثة (الولادة ، الموت ، والبعث) .

ومما اختلفتا فيه :

١- مجيء لفظ السلام في الآية الأولى بصيغة التنكير ، وفي الثانية بصيغة

التعريف .

٢- كون السلام في الآية الأولى من الله جلّ وعلا ليحيى عليه السلام ، وفي

الثانية من عيسى عليه السلام لنفسه .

ولعل أهم ما تحتاجه هذه الموازنة هو : التفريق بين تنكير لفظ السلام وتعريفه ،

وعلاقة هذا الاختلاف باختلاف مصدر التحية ، ثم الإشارة إلى تعليل اختيار هذه

الأزمان الثلاثة دون غيرها .

وقبل الشروع في بيان الموازنة أذكر بإيجاز ما ورد من تعليل تنكير السلام على

يحيى ، وتعريف السلام على عيسى عليهما السلام :

فقد قيل : إن السبب لكون سلام يحيى الذي جاء بلفظ النكرة جاء متقدماً في

الذكر ، فجاء سلام عيسى عليهما السلام معروفاً ، ويكون التعريف فيه للعهد فكأن

المعنى أن عيسى عليه السلام يقول لي من السلام ما ليحيى ، على اعتبار أن الاسم

إذا ورد مرتين أو لاهما نكرة ، والثاني معرفة ، فإن الثاني هو الأول ^(١) .

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٣٢٩ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/١٠٤ ، و

التفسير الكبير للفخر الرازي ٢١/١٨٤ ، والتنبيهات لابن عميرة ٧٤ ، وبدائع الفوائد لابن قيم

الجوزية ٢/١٤٣-١٤٤ ، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦/٧٧ .

وقيل: إن السلامين وردا في قصة يحيى وعيسى عليهما السلام ، فكأنهما سلامان وردا في كتاب واحد ، فتزل السلام على يحيى عليه السلام مترلة سلام البدء في الكتابة التي يلتزم العرب تنكير فيها لفظ السلام ، وعُرف سلام عيسى عليه السلام ؛ لجيئه بعد ذلك فكان بمترلة السلام في آخر الكتابة التي يلتزم فيها بتعريف لفظ السلام^(١) .

ومع احتمال التعليل بما قيل آنفاً إلا أن الأمر سيصبح أكثر وضوحاً حين تكون الموازنة مبنية على تحديد الفرق بين دلالاتي التعريف والتنكير في لفظ السلام ، وعلاقة ذلك بمصدر التحية ، ثم الإشارة إلى مسألة السر في تحديد الأوقات الثلاثة ، فأقول وبالله التوفيق :

التفريق بين دلالاتي التنكير والتعريف في الآيتين :

حين يرد لفظ السلام معرّفاً فإنه يتضمن أربع فوائد كما مرّ بنا ، وهي بإيجاز : الإشعار بذكر الله ؛ لأن (السلام) من أسمائه جلّ وعلا ، وطلب السلامة للمسلم عليه ، والدلالة على العموم المستفادة من الألف واللام ، وقيام الألف واللام مقام اسم الإشارة في تحديد المُسلم عليه^(٢) .

ويرى الزمخشري (٥٣٨هـ) أن التعريف في تحية عيسى عليه السلام يفيد التعريض باللعن على من اتهم مريم بالزنا ، ويبين كيفية الدلالة على التعريض بقوله : " وتحقيقه أن اللام للجنس ، فإذا قال : وجنس السلام عليّ خاصة ، فقد عرّض بأنّ ضده عليكم ، ونظيره قوله تعالى ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ يعني أن العذاب على من كذّب وتولى ، وكان المقام مقام منكرة وعناد فهو مئة لنحو هذا التعريض^(٣) " ، وعلى هذا تصبح الفوائد من تعريف لفظ (السلام) خمساً .

(١) ينظر : ملاك التأويل للفرناطي ٣٠٧/١ ، وبدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٤٣/٢ ، وصبح الأعشى ٢٢٠/٦ .

(٢) ينظر : بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٣٣/٢ .

(٣) الكشف ٥٠٨/٢ ، وينظر التفسير الكبير للفخر الرازي ١٨٤/٢١ .

وأما مجيء لفظ (سلام) نكرة فلن يدل على جميع ما ذكر ، وإنما سيقصر على التحية والدعاء بالسلامة .

علاقة هذا الاختلاف بمصدر التحية :

لما كانت التحية في الآية الأولى من الله جلّ وعلا ليحيى عليه السلام فإن لفظ السلام فيها ليس محتاجاً إلى تلك الفوائد التي يستصحبها التعريف ، بل إن سلاماً من الله جلّ وعلا كافٍ ومغني عن كل تحية مهما تعددت فوائدها ^(١) .

ويذكر ابن عميرة (٦٥٨ هـ) تعليلاً لطيفاً يؤكد استثمار الفرق بين دلالاتي التعريف والتنكير في الموضعين ، ويوضح السبب في عدم مجيء سلام عيسى على نفسه بصيغة التنكير يقول فيه : " وجُعِلَ من مقومات إثبات لام التعريف في سلام عيسى أنه لا يستقيم أن يطلب السلامة من نفسه لنفسه ، ومعنى هذا أنه لو قال (سلامٌ عليّ) منكرأ لم يكن بدّ من تقدير (مني) ، فهو يقول : (سلامٌ مني عليّ) " ^(٢) .

اختيار هذه الأزمان الثلاثة دون غيرها :

الحقيقة أن صيغتي التحية اتفقتا في ذكر هذه الأوقات الثلاثة ، وليس بينهما اختلاف إلا ما يتصل بضميري الغائب ، والمتكلم ، وهذا مرده إلى اختلاف المحيا بهذه التحية ، ولكن إتماماً للفائدة أذكر ما ورد عند عدد من العلماء في تعليل ذكر هذه الأزمان الثلاثة دون غيرها .

يقول القرطبي (٦٧١ هـ) : " لأن له أحوالاً ثلاثة : في الدنيا ، وفي القبر ، وفي الآخرة مبعوثاً ، فسلم في أحواله كلها " ^(٣) ، ويقول الفخر الرازي (٦٠٦ هـ) :

(١) ينظر : التنبيهات لابن عميرة ٧٢-٧٣ ، وبدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٤٣/٢ .

(٢) التنبيهات ٧٤ .

(٣) الجامع ١٠٥/١١ .

"وأعظم أحوال الإنسان احتياجاً إلى السلامة هي هذه الأحوال الثلاثة ، وهي : يوم الولادة ، ويوم الموت ، ويوم البعث " (١) ، ومعنى هذا أن اختيار هذه الأوقات بسبب أنها أخطر الأوقات سواءً في الدنيا أم البرزخ أم الآخرة ؛ لأن الإنسان حين يسلم في البعث فهذا مؤشر سلامته في الآخرة .

وربما سأل أحدنا عن سؤال عيسى الله السلامة في يوم الولادة ، وهو أمر قد مضى ! ، لقد سبق أن أثار ابن الزملاكي (٦٥١هـ) ذلك وأجاب عنه بقوله : " الغرض إظهار افتقاره إلى ذلك وتعظيم شأن المطلوب ، وأنه مما لا يمكنه أن يستغني عنه خصوصاً في المضايق " (٢) .

أقول ومما يحسن في تعليل ذلك التذكير بما سبق مما أثير في مسألة ولادة عيسى عليه السلام ، وأن سؤال السلامة من كل ما يتصل بيوم الولادة من قم وغيرها ، كما أنه يمكن أن يكون تعبيراً عن مزيد من الشكر لله جلّ وعلا .

ومما يجيب عن التساؤل السابق ما لحظه ابن عاشور (١٣٩٣هـ) بالنسبة لعلاقة هذه الأوقات بعيسى عليه السلام خاصة - يتفق مع ما سبق أن أشار إليه الزمخشري قبله ، وهو مسألة التعريض باليهود - فيقول : " ومؤذن أيضاً بتمهيد التعريض باليهود ، إذ طعنوا فيه وشتموه في الأحوال الثلاثة ، فقالوا : ولّد من زنى ، وقالوا : مات مصلوباً ، وقالوا : يُحشّر مع الملاحدة والكفرة ؛ لأنهم يزعمون أنه كفر بأحكام التوراة " (٣) .

ثانياً : الموازنة بين صيغة البدء وصيغة الرد :

لم يرد في آيات التحية اجتماع تحية البدء والرد عليها إلا في قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة ، وقد جاءت في المواضع التالية :

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٨٥/٢١ ، وينظر بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٤٤/٢-١٤٥ .

(٢) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ١٣٨ .

(٣) تفسير التحرير والتنوير ١٠١/١٦ .

في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَمًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [سورة هود ٦٩/١١] .

و قوله تعالى : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ [سورة الحجر ٥٢/١٥] .

و قوله تعالى : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ [سورة الذاريات ٢٥/٥١] .

ومما يلفت النظر في هذه المواضع الثلاثة اتفاقها في مجيء سلام الملائكة منصوباً ، وهذا يدعو إلى القول باحتمال أن يكون السلام بنصه أو بحكايته - كما مر - .
وأما ردُّ إبراهيم عليه السلام فقد جاء لفظ السلام فيه في آيتي هود والذاريات مرفوعاً ، ولكنه في آية الحجر جاء رداً خالياً من التحية .

وهناك موضع آخر لم يرد فيه سلام لا من الملائكة ، ولا من إبراهيم ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [سورة العنكبوت ٣١/٢٩] ، ولكون هذا الموضع لم يشتمل على تحية فإنه لن يدخل في الموازنة إلا من باب بيان أنه يحكي شيئاً من مواقف قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة .

ويمكن أن تعرض الموازنة لمسألتين : الأولى نصب سلام الملائكة ورفع سلام إبراهيم وعلاقة ذلك بأفضلية الرد ، والثانية : عن خلو آية الحجر من الرد بالتحية .
المسألة الأولى :

حين ينظر إلى جانب الصياغة اللغوية للفظي السلام فإنه يصحُّ - لغةً - أن يجيء اللفظان مرفوعين أو منصوبين ، صرَّح بذلك عدد من العلماء ، منهم : الفراء

(٢٠٩هـ) ، ومكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) ، والقرطبي (٦٧١هـ)^(١) ، ولكنَّ بجيء الأول منصوباً - في المواضع الثلاثة - ، والثاني مرفوعاً - في الموضعين - يدلُّ على علاقة ذلك بمسألة التفاضل بين البدء والرد ، ولما كان الرد متوقعاً أن يكون أفضل من البدء فلا بد من تحديد منشأ هذه الأفضلية ، مع أن ظاهر الكلام يقضي بتساوي اللفظين ، وينحصر الفرق الظاهر في مسألة الإعراب ، فكيف جاء التفاضل من هذه الناحية ؟

توجيه النص :

كلُّ الذين تعرضوا لتوجيه نصب كلمة (سلاماً) ممن وقفتُ على آرائهم جعلوا العامل فيها فعلاً ، وإن اختلفوا في تقديره .

فمنهم من جعل العامل الفعل (قالوا) ، ومن هؤلاء : الطبري (٣١٠هـ) ومكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) ، و ابن العربي (٥٤٣هـ) ، والقرطبي (٦٧١هـ) ، وابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)^(٢) ، وهذا التقدير مرجوح ، والحجة احتمال أن يكون المذكور معنى السلام لا لفظه ، يقول ابن العربي : " إن عمل فيه القول كان على معنى السلام ، ولم يكن على لفظه كأنه أخبر أنه على المعنى ، كما تقول : قلتُ حقاً ، ولم ينطق بالحاء والقاف ، وإنما قلتُ قولاً معناه حقٌ ، وهم إنما تكلموا بسلام ، ولذا أجابهم بالسلام " ^(٣) ، ومما يجعل القول بهذا التقدير مرجوحاً ما ذكره ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) إذ قال : " لم يقصد حكاية سلام الملائكة

(١) ينظر : معاني القرآن ٢/٢١ ، ومشكل إعراب القرآن ١/٤٠٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٩/٦٢ - ٦٣ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٧/٦٧ ، وإعراب مشكل القرآن ١/٤٠٨ ، وأحكام القرآن ٣/١٠٤٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٩/٦٢ ، وبدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ٢/١٣٦ .

(٣) أحكام القرآن ٣/١٠٤٨ .

فنصب قوله (سلاماً) انتصاب مفعول القول المفرد كأنه قيل : قالوا سلاماً وقالوا سداداً وصواباً ونحو ذلك ، فإن القول إنما تحكى به الجمل ، وأما المفرد فلا يكون محكياً به ، بل منصوب به انتصاب المفعول به " (١) .

ومما سبق يتضح أن تضعيف هذا التقدير منشؤه احتمال كون سلام الملائكة محكياً بالمعنى ، وأحسب أن هذا الأمر ليس قاطعاً ؛ لأن الطبري قدّر العامل الفعل (قالوا) ومع ذلك جعل المعنى سلموا تسليماً ، وهذا يدل على أن تقدير العامل بـ (قالوا) يجعل الأمر محتملاً لكون المراد بالسلام معناه أو لفظه ، وهذا يتفق مع ما سبق من عرض لاحتمال أن يكون سلام الملائكة على الحكاية أو النص .

ومنهم من قدّر العامل (ذكروا) ، ومن هؤلاء : محمد بن مفلح (٧٦٣هـ) ، ومحمد السفاريني (١١٨٨هـ) ، و الألو سي (١٢٧٠هـ) (٢) على أن سلاماً مفعول به محمول على المعنى ، كأنه قيل : ذكروا سلاماً ، وهو بهذا التقدير يشبه تقدير : (قالوا) .

ومنهم من قدّره (بُبْلَغُك) ورد هذا عند الفخر الرازي (٦٠٦هـ) (٣) ، وهذا التقدير يشبه تقدير قالوا ، وذكروا في الدلالة على حكاية التحية ، ويزيد عليهما في دلالاته على أن الملائكة ناقلون للتحية .

وأما تقديره منصوباً على المصدرية ، أي : نسلم سلاماً ، فهذا ما ذهب إليه أكثر الذين عرضوا للتوجيه ، حتى جلّ أولئك الذين ذكروا التقديرات السابقة (٤) .

(١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٣٦/٢ .

(٢) ينظر : الآداب الشرعية ٣٣٩/١ ، وغذاء الألباب ٢٨١/١-٢٨٢ ، و روح المعاني ٢٩١/٦ .

(٣) ينظر التفسير الكبير للفخر الرازي ١٨٢/٢٨ .

(٤) ينظر مثلاً : جامع البيان للطبري ٦٧/٧ ، و معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٦٠/٣ ، و مشكل إعراب القرآن ٤٠٧/١ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١٠٤٨/٣ ، والتفسير الكبير للفخر الرازي ٢٠/١٨ ، و ١٥٦/١٩ ، و ١٨١/٢٨ ، والتنبيهات لابن عميرة ٦٦ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٢/٩ ، و ٣٥/١٠ ، وبدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٣٦/٢ ، و الآداب الشرعية =

وإن كان ثمة ترجيح لأحد هذه التقديرات فإني أميل إلى النصب على المصدرية ؛
لكونه محتملاً لدلالة السلام بالنص أو الحكاية ، والله أعلم .

ومهما كان تقدير العامل فإن جميع التقديرات تؤدي إلى كون سلام الملائكة جاء
جملة فعلية ، وهذا ما سيعتمد عليه في مسألة المفاضلة .

توجيه الرفع :

لا يخرج توجيه الرفع عن كون لفظ (سلام) المرفوع :

إما خبر لمبتدأ محذوف ، يكون تقديره أمري سلام ، أو قولي ، أو ردي ، أو
جوابي ، أو هو سلام ، وعلى هذا كان تقدير مجموعة من العلماء منهم : الطبري
(٣١٠هـ) ، والزجاج (٣١١هـ) ، ومكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) ، والفخر
الرازي (٦٠٦هـ) ، والقرطبي (٦٧١هـ) ، و محمد بن مفلح (٧٦٣هـ) ،
وابن عاشور (١٣٩٣هـ) في أحد رأيه ^(١) .

وإما مبتدأ لخبر محذوف . بمعنى (سلام عليكم) باعتبار أن مسوغ الابتداء بالنكرة
هو الدعاء ، وكون لفظ (سلام) من أسماء الأجناس التي يرى الزجاج (٣١١هـ)
أنه يُبتدأ بها ؛ لأن فائدة نكرتها قريب من فائدة معرفتها ^(٢) ، وأن التنكير يدل على
التمام والكمال ، ومن قال بذلك : الفخر الرازي (٦٠٦هـ) ، وابن قيم الجوزية
(٧٥١هـ) ، و محمد بن مفلح (٧٦٣هـ) و محمد بن علان (١٠٥٧هـ) ،
و محمد السفاريني (١١٨٨هـ) ، والألوسي (١٢٧٠هـ) ، ورأي آخر لابن

= ٣٣٩/١ ، وغذاء الألباب ٢٨٢/١ ، و روح المعاني ٢٩١/٦ ، وتفسير التحرير والتنوير لابن
عاشور ١١٦/١٢ ، و ٤٦٥/٣٠ .

(١) ينظر جامع البيان ٦٧/٧ ، معاني القرآن وإعرابه ٦٠/٣ ، التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٠/١٨ ،
و ١٨٢/٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٣/٩ ، و ٤٥/١٧ ، والآداب الشرعية ٣٣٩/١ ،
و تفسير التحرير والتنوير ١١٦/١٢ ، و ٤٦٥/٣٠ .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٣٢٩/٣ .

عاشور (١٣٩٣هـ)^(١) ، فيكون لفظ (سلام) مرفوعاً على الابتداء ، وخبره محذوف قياساً على ما ورد في قوله تعالى : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [سورة يوسف ١٨/١٢] مع أنه يمكن أن يكون المقدّر مبتدأ والمذكور هو الخبر ، أي فأمرى صبراً^(٢) .

ومن التقديرات تقدير المعنى بـ (عليكم سلام) فيكون لفظ (سلام) مبتدأ مؤخرأ ، وقد ورد هذا التقدير عند مكّي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) ، وعند القرطبي (٦٧١هـ) في موضعين ، وعند الألوسي (١٢٧٠هـ)^(٣) .

وحين نتأمل تلك التقديرات فسنجد أنها تشترك في تصنيف سلام إبراهيم بأنه جملة اسمية ، ولكنها تتفاوت في مسألة التقدير - كما مرّ - وإن كنتُ أميل إلى ترجيح ما أورده مكّي ، و القرطبي ، والألوسي من تقديره المعنى بـ (عليكم سلام) للأسباب الآتية :

- ١- أن تقدير : (أمرى سلام) ، وما شابهها يدل على حكاية التحية وليس نصّها ، وهذا لا يتلاءم مع ما أورده المفسرون من كون الرفع يدل على النص ، والنصب يؤذن بالحكاية كما مرّ آنفاً .
- ٢- أن تقدير (سلام عليكم) يشعر أنها تحية بدء ، وليست تحية ردّ ، وهذا يخالف ما عليه المفسرون واللغويون الذين جعلوا سلام إبراهيم عليه السلام ردّاً على سلام الملائكة .
- ٣- أن الغرض من التقدير ليس معرفة الموقع الإعرابي فحسب ، بل معرفة ما يعين على تصور المعنى ، وما دام تقدير (عليكم سلام) محققاً للأمرين

(١) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٠/١٨ ، و ١٨٢/٢٨ ، وبدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ٢/١٣٣ ، والآداب الشرعية ٣٣٩/١ ، و دليل الفالحين ٣٩٨/٥ ، و غذاء الألباب ٢٨١/١ ، و روح المعاني ٢٩١/٦ ، و تفسير التحرير والتنوير ٤٤/٢٣ .

(٢) ينظر : روح المعاني ٣٩٢/٦-٣٩٣ .

(٣) ينظر : مشكل إعراب القرآن ٤٠٨/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٦٣/٩ ، ٤٥/١٧ ، و روح المعاني ٢٩١/٦ .

معاً ، ومرجحاً لجعل سلام إبراهيم عليه السلام نصّاً في التحية ، وليس
حكاية لها ، فأحسب أنه أولى التقديرات الثلاثة ، والله أعلم .

ومع تنوع توجيه الرفع ، وتقدير المحذوف فالنتيجة أن الرفع يؤدي إلى تقدير جملة
اسمية ، وهذا هو العنصر الثاني للمفاضلة بين الصيغتين .

العلاقة بين التوجيه ومسألة التفاضل :

قبل الشروع في بيان هذا الأمر يحسن التوطئة له بذكر قاعدة بلاغية نفيسة في
مسألة التفريق بين دلالة الاسم ودلالة الفعل ، فيرى عبد القاهر الجرجاني
(٤٧١هـ) : " أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن
يقتضي تحده شيئاً بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تحدد المعنى
المثبت به شيئاً بعد شيء " (١) ، وهذا يعني أن دلالة الفعل مقترنة بالدلالة الزمانية
ومقيدة بها ، وأما الاسم فدلالته عامة ثابتة مستمرة ، يؤكد ذلك الفخر الرازي
(٦٠٦هـ) في قوله : " الاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها ، فإذا قلت : " زيد
منطلق " لم يُفدْ إلا إسناد الانطلاق إلى زيد ، وأما الفعل فله دلالة على الحقيقة
وزمانها ، فإذا قلت : " انطلق زيد " أفاد ثبوت الانطلاق في زمان معين لزيد ، وكلُّ
ما كان زمانياً فهو متغير ، والتغير مشعرٌ بالتحديد ، فإذا الإخبار بالفعل يفيد - وراء
أصل الثبوت - كون الثابت في التحديد ، والاسم لا يقتضي ذلك .

ويشبه أن يكون الاسم في صحة الإخبار به أعمّ ، وإن كان الفعل فيه أكمل
وأتم ؛ لأن الإخبار بالفعل مقتصرٌ على الزمانيات ، أو ما يُقدَّر فيه ذلك ، والإخبار
بالاسم لا يقتضي ذلك .

وإذا عرفت ذلك فنقول : إن كان الغرض من الإخبار الإثبات المطلق غير المشعر
بزمان وجب أن يكون الإخبار بالاسم ... وأما إذا كان الغرض من الإخبار الإشعار

(١) دلائل الإعجاز ١٧٤ .

بزمان ذلك الثبوت فالصالح له هو الفعل " (١) ، وإفادة الفخر الرازي مما ذكره عبد القاهر لا تخفى؛ لأن منهجه في كتابه تلخيص ما أورده عبد القاهر كما هو معروف . وما ورد من تفريق بين دلالة الاسم ودلالة الفعل أصبح قاعدة بلاغية يرددها البلاغيون في كتبهم ، فيجعلون الاسم للثبوت والاستمرار ، والفعل للحدوث والتجدد (٢) ، وشاع هذا حتى أصبح عند البلاغيين وغيرهم (٣) . ومن هذا المنطلق ، واعتماداً على ما مرَّ من تصنيف تحية الملائكة في الجملة الفعلية وتصنيف تحية إبراهيم عليه السلام في الجملة الاسمية تأتي مسألة التفاضل التي صرح بها عدد من العلماء ، منهم :

الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) في قوله : " فإنما رفع الثاني ؛ لأن الرفع في باب الدعاء أبلغ ، فكأنه تحرَّى في باب الأدب المأمور به في قوله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ " (٤) ، وهو وإن لم يصرح بمسألة الاسمية والفعلية إلا أن ذكره للرفع كاف في معرفة مراده ، ويمثل هذا قال الطيبي (٧٤٣هـ) (٥) .

وابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) بدأ بسؤال عن السر في نصب سلام الملائكة ، ورفع سلام إبراهيم ، فأجاب عنه بقوله : " فالجواب أنك قد عرفت قول النحاة فيه أن سلام الملائكة تضمن جملة فعلية ، لأن نصب السلام يدلُّ على : سلَّما عليك سلاماً ، سلام إبراهيم تضمن جملة فعلية ؛ لأن رفعه يدلُّ على أن المعنى : سلام عليكم ، والجملة الاسمية تدلُّ على الثبوت والتقرير ، والفعلية على الحدوث والتجدد

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ١٥٦ .

(٢) ينظر مثلاً : التبيان للطبي ٨٩-٩٠ ، وشرح عقود الجمان للسيوطي ٣٨ ، وشروح التلخيص ٢/ ٣١-٢٥ .

(٣) ينظر مثلاً : البرهان في علوم القرآن للزركشي ٦٦/٤-٧١ .

(٤) المفردات ٢٤٠ .

(٥) ينظر التبيان ٨٩ .

، فكان سلامه عليهم أكمل من سلامهم عليه " (١) ، وذلك تكريم منه عليه السلام للملائكة لمزلتهم عند الله جلّ وعلا .

ومثل ذلك ورد عند كل من : الفخر الرازي (٦٠٦هـ) ، و البابرقي (٧٨٦هـ) ، والفيروزآبادي (٨١٧هـ) ، ومحمد بن علان (١٠٥٧هـ) ، والألوسي (١٢٧٠هـ) ، وابن عاشور (١٣٩٣هـ) (٢) .

وأشار البابرقي إلى تعليل آخر يتمثل في أن ردّ إبراهيم عليه السلام أبلغ ؛ ليتلاءم مع مقام الملائكة عليهم السلام ؛ لكون السلام دعاء للمسلم عليه بالسلامة من كل نقص ، وكمال الملائكة لا يتصور فيه التجدد ، بل هو ثابت مقارنة بوجودهم ، فناسب أن يحيا بما يدل على الثبوت (٣) .

وثمة أمران تثيرهما هذه الموازنة :

أولهما : يتصل بما ورد مما قيل من رعاية إبراهيم عليه السلام في رده على ضيوفه من الملائكة لما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [سورة النساء ٨٦/٤] ، فهذه الآية

نزلت على محمد ﷺ ، فكيف يحتج بها على ما ورد عن إبراهيم عليه السلام ؟

لقد تنبه بعض العلماء لهذه المسألة ، فورد عن ابن عاشور قوله : " وليس في لغة إبراهيم مثل ذلك " (٤) ، وفي موضع آخر يقول : " فحكى ذلك بأوجز لفظ في العربية أداء لمعنى كلام إبراهيم عليه السلام في الكلدانية " (٥) .

(١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٣٥/٢ .

(٢) ينظر على التوالي : التفسير الكبير للفخر الرازي ١٨٢/٢٨ ، و شرح التلخيص للباقر ٢٩٨-٢٩٩ ، و بصائر ذوي التمييز ٢٥٢/٣ ، و دليل الفالحين ٣٩٨/٥ ، و روح المعاني ٢٩١/٦ ، و تفسير التحرير والتنوير ٤٤٦/٥ ، و ١١٦/١٢ ، و ٤٤/٢٣ .

(٣) ينظر : شرح التلخيص ٢٩٨-٢٩٩ ، و ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ٧١/٤ .

(٤) تفسير التحرير والتنوير ١٤٦/٥ .

(٥) التحرير والتنوير ١١٧/١٢ .

ويشير ابن قيم الجوزية إلى تعليل آخر يذكر فيه " أن قوله (سلام عليكم) من دين الإسلام المتلقى من إمام الحنفاء وأبي الأنبياء ، وأنه من ملة إبراهيم التي أمر الله بها واتباعها ، فحكى لنا قوله ؛ ليحصل الاقتداء به والاتباع له " (١) .

ولهذا فالجواب عن ذلك الإشكال يزول بمعرفة التعليلين : الأول أن ما جاء كان من ملة إبراهيم التي يعدُّ الإسلام امتداداً لها ، والثاني أن تأدية المعنى باللغة العربية المختلفة عن لغة إبراهيم عليه السلام هو تصوير دقيق وحكاية أمينة لما جرى بينه وبين الملائكة شأن الأقوال المحكية في القرآن لمن كان من غير العرب .

وثاني الأمرين : أن إبراهيم حين رد على الملائكة لم يكن يعرفهم ؛ ليكون قصده تكرمهم، وليلائم حالهم ، وعدم مناسبة التجدد لهم كما أشار الباري آنفاً بدليل أنه ورد في المواضع الثلاثة ما يشعر بعدم معرفة إبراهيم عليه السلام لهم ، ففي سورة هود ﴿ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ [سورة هود ٧٠/١١] ، وفي سورة الحجر ﴿ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ [سورة الحجر ٥٢/١٥] ، وفي سورة الذاريات ﴿ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ [سورة الذاريات ٢٥/٥١] .

ويعلل الباري لهذا بقوله : " إن إبراهيم وإن لم يكن عالماً بذلك لكن الله أجرى على لسانه ما هو مناسب لهم في نفس الأمر تعظيماً لهم عليهم السلام " (٢) ، ويضاف إلى ذلك أن هؤلاء ضيوف وإن لم يعرفهم فإنه من باب إكرامهم القولي أن يحييهم بما حياهم به ، كما أكرمهم بتقديم الطعام لهم .

المسألة الثانية : عن تعليل خلو آية الحجر من رد التحية :

ذكر الكرمانى (٥٠٥ هـ) أن السبب يكمن في أن سورة الحجر متأخرة عن سورة هود ، ولهذا اكتفى بالرد الوارد في سورة هود (٣) ، وفي رأيه أن هذا التعليل

(١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٣٦/٢ .

(٢) شرح التلخيص ٢٩٩ ، وينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ٧١/٤ .

(٣) ينظر البرهان في متشابه القرآن ٢٣٩ .

وذهب ابن عاشور (١٣٩٣هـ) إلى أن عدم الرد كان إيجازاً ؛ لكونه معروفاً ،
ولكونه ورد الرد في سورة هود ^(١) ، وما رآه ابن عاشور أولى عندي مما ذكر
الكرماني ؛ لأن ذكر شيء في القرآن في موضع وتركه في موضع كثير في القرآن ،
ولكن لا يكون السبب هو وروده في سورة سبقتها ، ومع ذلك فأظن هذا التعليل
غير كاف .

و حين ن ن ن النظر في المواضيع الثلاثة سنجد تشابهاً كبيراً بين موضوعي هود والذاريات ، في حين يختلف عنهما موضع الحجر في بعض الجوانب ، ويتضح ذلك بصورة جلية عند تأملها ، وهي :

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ
سَلَامٌ مِمَّا لَبِيتَ أَنْ جَاءَ بِعَجْلِ حَيْنٍ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ
نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٧﴾
وَأَمْرَاتُهُ فَاقِمْ فَفَضَحَكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٨﴾
قَالَتْ يَنْوِيلَنِيَّ أَلَدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۙ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ
﴿٧٩﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ
حَمِيدٌ مُجِيدٌ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي
قَوْمِ لُوطٍ ﴿٨١﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٨٢﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ اُعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير ٥٨/١٤ .

إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ لَأَتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿ [سورة هود ٦٩/١١ - ٧٦] .

و قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [سورة الذاريات ٣٥-٢٤/٥١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنِطِيطِ ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿ إِلَّا آءَالَ لُوطُ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا ۖ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿ [سورة الحجر ٦٠-٥١/١٥] .

وقد حاولتُ تأملَ المواضع الثلاثة فرأيتُ أن موضعي هود والذاريات يشتركان في العناصر المذكورة في القصة من مجيء الملائكة ودخولهم ، وسلامهم وورده عليهم ،

وإنكاره لهم ، وخوفه منهم ، وتقدم الطعام لهم ، ومشاركة امرأته عليه السلام في الحوار .

وأما موضع الحجر فإضافة إلى عدم ورود رد التحية فيه ، فإنه يختلف عن الموضعين السابقين كذلك في الأمور الآتية :

١- لم يرد فيه ذكر لتقدم الطعام .

٢- ولم يرد فيه أي إشارة لزواج إبراهيم عليه السلام .

٣- والمحاورة في سورة الحجر بـ (قال ، وقالوا) أكثر منها في الموضعين السابقين .

لذلك كله أرى أن عدم الرد له علاقة بتصوير موقف إبراهيم عليه السلام فهو في سورة الحجر أكثر دلالة على الخوف والرهبة من هؤلاء الضيوف ؛ بدليل أنهم لحظوا عليه اليأس ، واستغرابه لتلك البشري منهم ، ولذلك نوه عن القنوط بقولهم ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَاقِطِينَ ﴾ ، وهذا لم يرد في الموضعين السابقين والله أعلم .

المبحث الثالث: المظاهر الأسلوبية في صيغ التحية في القرآن :

حسن الاستهلال بالتحية بالسلام :

حين يكون أول ما يقرع سمع الإنسان عبارة تشعره بالطمأنينة من القادم ، والاستئناس به فإن هذا الأمر يحقق في نفسه الارتياح ، وقد مرّ بنا ما أورده الثعالبي (٤٢٩هـ) من قول ابن عباس رضي الله عنه : " لكل قادم دهشة فابدؤوه بالتحية " (١) ، فالبداء بهذه التحية يزيل الدهشة ، فإذا استصحبنا تضمن هذه العبارة الدلالة على السلامة من خلال أول كلمة فيها ، وهي : (السلام) ، إضافة إلى ما يحصل من التبرك بكون الكلمة (السلام) من أسماء الله جل جلاله ، فهذا ادعى

(١) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ٣٠ .

للطمأنينة ، والاستئناس بالمُسَلَّم ، ولذلك كان من السنة أن يبدأ المتكلم بالتحية بالسلام ؛ لأن فيها : " إشعاراً بالسلامة وتفاؤلاً بها وإيناساً لمن يخاطبه ، وتبركاً بذكر الله " ^(١) ، وهذا غاية ما يسعى لتحقيقه الكلام الفصيح ، و من خير ما يوفق المتكلم للبدء به ، وهو ما يسميه البلاغيون (براءة الاستهلال) أو (حسن المطلع) .

أثر البدء بالتحية بالسلام في دفع توهم الشر :

ذكر الفخر الرازي (٦٠٦هـ) أن إلقاء السلام على المخاطب فيه بيان أن المخاطب أصبح في سلامة وأمن وأمان من المُسَلَّم ، وهذا يدل على دفع الشر عنه ، ثم بين أن دفع الشر أهم من جلب الخير ، واستدل على ذلك بوجوه هي : " الأول : أن دفع الشر يقتضي إبقاء الأصل ؛ لأن إبقاء الأصل أهم من تحصيل الزائد . الثاني : أن إيصال الخير إلى كل أحد ليس في الوسع ، أما كف الشر عن كل أحد داخل في الوسع ؛ لأن الأول فعل والثاني ترك ، وفعل مالا نهاية له غير ممكن ، أما ترك مالا نهاية له ممكن ^(٢) . الثالث : أنه إذا لم يحصل دفع الشر فقد حصل الشر ، وذلك يوجب حصول الألم والحزن ، وهو في غاية المشقة ، وأما إذا لم يحصل أيضاً إيصال الخير بقي الإنسان لا في الخير ولا في الشر ، بل على السلامة الأصلية ، وتحمل هذه الحالة سهل .

فثبت أن دفع الشر أهم من إيصال الخير ، وثبت أن الدنيا دار الشرور والآفات والمحن والبليات ، وثبت أن الحيوان في أصل الخلقة و موجب الفطرة منشأ للشرور . و إذا وصل إنسان إلى إنسان كان أهم المهمات أن يعرفه أنه في السلامة والأمن والأمان ، فلهذا السبب وقع الاصطلاح على أن يقع ابتداء الكلام بذكر السلام " ^(٣) .

(١) تحفة الأحوذى ٤٧٩/٧ .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : فممكن .

(٣) التفسير الكبير ١٤٥/١٦ .

والأصل في التحية أن تكون أول ما يبادر به المتكلم المخاطب ، وعلى هذا كثير مما ورد في القرآن ، ومن أظهرها :

ما يبادر به خزنة الجنة الداخلين فيها ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۝ ﴾ [سورة الزمر ٣٩/٧٣] .

وما تفعله الملائكة حين يدخلون على أهل الجنة من كل باب ، في قوله تعالى : ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ ﴾ [سورة الرعد ٢٣-٢٤] ، وربما طرأ على أحدنا سؤالٌ عن فائدة التحية لأهل الجنة ، ودخولهم إليها كافٍ في معرفة سلامتهم و أمانهم ، فهل يحتاج أهل الجنة إلى التحية ؟ ، يقول ابن عاشور (١٣٩٣هـ) : " وهذه تحية يُقصدُ منها تأنيس أهل الجنة " (١) ، ولعل ذلك من المزيد في إكرامهم .

ومن المواضع التي يتحقق فيها الاستهلال بالتحية ما تفعله الملائكة الموكلة بقبض أرواح المؤمنين ، فمبادرتهم بالتحية بشرى لهم ، و تأنيس وإكرام ، ولعلها إشارة إلى كون هذا الموقف يمثل أولى مراحل الآخرة ، كما هو في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [سورة النحل ١٦/٣٢] ، ويقول القرطبي (٦٧١هـ) : " يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون السلام إنذاراً لهم بالوفاة ، والثاني أن يكون تبشيراً لهم بالجنة ؛ لأن السلام أمان " (٢) ، ولعل الوجه الثاني أقرب إلى فائدة التحية ، والله أعلم .

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٣/١٣٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٠١ .

مفردات التحية :

مرّ في المبحث الأول في بيان مواضع آيات التحية ذكر المفردات الدالة على التحية في القرآن ، وكان ذلك لتحديد المواضع التي وردت فيها التحية في القرآن ، وأما الحديث هنا فسيكون خاصاً بالوقوف على المفردات المستعملة في التحية التي جاءت بنصها ، وبيان الدلالات البلاغية لها ، وأما ما كان حكاية للتحية فلن يُتعرّض له في هذا المبحث اكتفاء بما ذكر في المبحث الأول .

جاءت صيغ التحية في القرآن على صورتين :

الأولى: بلفظ السلام فحسب .

والثانية: بلفظ السلام مصحوباً باسم المحيا أو ضميره مجروراً بـ على .

المفردة الأولى : لفظ السلام :

فالمواضع التي جاءت التحية فيها بلفظ السلام فحسب كان جلها بصيغة تنكير لفظ السلام (سلام) مع اختلاف موقعه الإعرابي ، ولم يرد مُعرّفاً إلا في موضع واحد في آية (٩٤) من سورة النساء ، وكان إخباراً عن التحية ، وليس نصاً لها . وما جاء بصيغة التنكير فهو مما يغلب عليه أن يكون حكاية للتحية ، وليس نصاً لها ، وخاصة إذا ورد اللفظ منصوباً ، أما إذا جاء مرفوعاً فإن ذلك من مرجحات كونه بنص التحية ، والله أعلم .

ولفظ (السلام) جاء على ثلاث صور هي : (السلام) بصيغة التعريف ، و (سلام) بصيغة التنكير ، و (سلّم) كما وردت في بعض القراءات ، ولكل واحد من هذه المفردات دلالة ، ومناسبتها لموقعه .

موقف العلماء من دلالات التعريف والتنكير للفظ السلام :

لا يخفى ما يكون بين كلمتي (السلام) في حال تعريفها ، و (سلام) حين ترد بصيغة التنكير ، ولا ينحصر الفرق في مسألة الوصف مرة بالتعريف والأخرى

بالتنكير فحسب ، و إنما يكون لكل منهما دلالتها الخاصة ؛ لأن زيادة الألف واللام في إحداهما مؤذن بزيادة معناها على الأخرى الخالية منها ، ويتضح ذلك من خلال تأمل معنى الكلمتين :

فلفظ (السلام) معرباً يتضمن الدلالات الآتية :

الأولى : تضمنه الدلالة على اسم من أسماء الله جلّ وعلا ، وما يتبع ذلك من تبرك به ، و تعرّض إلى تحصيل المعنى الذي اشتق منه ذلك الاسم .

الثانية : معنى السلامة و الخلو من الآفات ، والاطمئنان .

الثالثة : العموم المستفاد من دلالة الألف واللام على الاستغراق ^(١) ، فيكون المعنى شاملاً لجنس السلام أو السلامة .

الرابعة : دلالة لفظ (السلام) على الماهية والكمال ^(٢) ؛ فلما هيّة دلّ عليها مدخول " ال " (سلام) ، والكمال دلّت عليه " ال " إما من وجه الاستغراق ، وإما المبالغة ، وفي ذلك يقول ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) : " اختير للراد أكمل اللفظين ، وهو المعروف بالأداة التي تكون للاستغراق والعموم كثيراً ؛ ليتمكن من الإتيان بمقام أفضل " ^(٣) .

وأما لفظ (سلام) منكرأ فإنه يشترك مع المعرفة في بعض دلالاتها مثل : تضمن معنى السلامة ، والعموم ؛ لكون النكرة تحتل الدلالة على الجنس .

وتنفرد صيغة التنكير بأنها لا تدل على اسم الله جلّ وعلا ؛ لأن ما يدل على أسماء الله ألفاظ توقيفية، فسقوط الألف واللام يخرجها عن وصفها بأنها اسم من أسماء الله ، كما تنفرد كذلك باحتمالها لدالتين متضادتين هما التعظيم والتحقيق أو التكثير

(١) ينظر : بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٣٤/٢ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي ١٧٠/١٠ ، و ١٤٤/١٦ - ١٤٥ ، و بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٣٣/٢ .

(٣) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٣٤/٢ .

والتقليل ؛ لأن تنكير اللفظ يجعله محتملاً للتعظيم والتكثير ، أو التحقير والتقليل كما هو معروف عند البلاغيين ^(١) .

ونخلص من ذلك أن (السلام) المعرفة محدد الدلالة وإن تنوعت واتسعت ، ولفظ (سلام) النكرة ذو دلالة مرنة قد تتسع وتضيق ، والمقام والسياق يحددان ذلك .

هذا من الجانب النظري في الفرق بين دلالي التعريف والتكثير ، فما شأن الجانب التطبيقي في استعمال اللفظين ، ومناسبة ذلك للمقام الذي يرد فيه كل واحد منهما ؟

أقول والله أعلم : حين نتأمل ما جاء من نص التحية بالسلام معرّفاً في القرآن نلاحظ أنه ورد في موضعين ، ومصدر التحية فيهما من البشر .

فالموضع الأول التحية فيه من عيسى عليه السلام لنفسه ، في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [سورة مريم ١٩/٣٣] .

والموضع الثاني من موسى عليه السلام وأخيه هارون لمن أتبع الهدى حين أمرهما الله بالذهاب إلى فرعون ، في قوله تعالى : ﴿ فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِِبْهُمْ ۚ قَدْ جَعَلْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ أَهْدَى ﴾ [سورة طه ٤٧/٢٠] .

والحاجة في هذين الموضعين لدلالات لفظ (السلام) من استصحابها لاسم من أسماء الله جلّ وعلا تبركاً به ، وتعرضاً لتحصيل المعنى الذي اشتق منه ذلك الاسم ، وكونه دالاً على السلام والسلامة بعمومهما لدلالته على جنسهما ، فعيسى عليه السلام يطلب ذلك لنفسه ، وموسى وهارون يطلبانه لمن أتبع الهدى .

(١) ينظر مثلاً : الإيضاح للقزويني ١٢٧-١٢٨ ، والبيان للطبي ٨٣ .

وأما المواضع التي جاءت التحية فيها بصيغة التنكير ، فلا تخلو من أمرين :
إما أنها تحية من الله جلّ وعلا لرسله أو لأهل الجنة أو غيرهم ، وهذه ليست
بحاجة إلى تلك المعاني مادامت صادرة من الله عزّ وجلّ ، فصدورها منه عزّ وجلّ
كاف عن كل دلالة .

وإما أن تكون تحية من الملائكة للبشر ، أو من البشر إلى بعضهم ، وفي هذه
الحال يكون تمحضها للدعاء أولى ، إضافة إلى تلبسها ببعض معاني المعرفة مما
تشارك فيه مما يعد كافياً لتحقيق المطلوب .

ومع ما أشرتُ إليه مما تختلف فيه الصيغتان ، أو تشاركان فيه ، فقد اختلفت
الرؤى في تحديد الفرق بينهما من حيث ورودهما في القرآن :

فمن العلماء من يرى تساويهما ، ففي حديث الزجاج (٣١١هـ) عن لفظ
(سلام) والابتداء به قال : " وأسماء الأجناس يبتدأ بها ؛ لأن فائدة نكرتها قريب من
فائدة معرفتها ، تقول : لبيك وخير بين يديك ، وإن شئت قلت : والخير بين
يديك " ^(١) ، ومن هذا المنطلق يرى الزجاج أنه يمكن التخيير بين الصفتين في
التشهد ، فتقول : " السلام عليك أيها النبي ، و سلام عليك أيها النبي " ^(٢) ، و ذكر
الكنيا المهراس (٥٠٤هـ) أن المتكلم بالخيار ، إن شاء قال : سلام عليكم ، وإن شاء
قال : السلام عليكم ، ونقل عن بعض العلماء قوله : " أنت في تعريف السلام و
تنكيره بالخيار " ^(٣) ، و أورد ابن عاشور (١٣٩٣هـ) في موضعين ما يفهم منه
تساويهما اعتماداً على تساوي دلالة التعريف إذا كان للجنس ، مع دلالة التنكير
على الجنس ، يقول عن تعريف لفظ السلام و تنكيره : " فأما التعريف والتنكير فهما
سواء ؛ لأن التعريف تعريف جنس " ^(٤) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٢٩ .

(٢) السابق

(٣) أحكام القرآن ٢/٤٣٤ .

(٤) تفسير التحرير والتنوير ٧/٢٥٨ ، وينظر الموضع الثاني في ١٦/٧٧ .

و يظهر لي والله أعلم أن هذه الأقوال لبيان جواز التعبيرين ، وأنه يمكن أن يقال هذا ويقال ذاك ، وليس للمساواة بين ما جاء معرّفاً وما جاء منكراً في القرآن ، فهذا لا يمكن أن يقول به ذو علم وبصيرة ، والدليل أن بعض أولئك الذين ذكروا تلك الأقوال قد أوردوا في مواضع أخرى من كتبهم ما يبين تفاوت الدلالات كما سنعرف بعد قليل إن شاء الله .

ومن العلماء من يرى أن استعمال صيغة التنكير كان بسبب الرغبة في التخفيف من الألف واللام ؛ لكثرة الاستعمال ، فقد أورد الرازي قولاً نسبته للأخفش (٢١٥هـ) يقول فيه : " قال الأخفش : من العرب من يقول سلامٌ عليكم ، فيعري قوله (سلامٌ) عن الألف واللام ، والتنوين ، والسبب في ذلك أن كثرة الاستعمال أباح هذا التخفيف ، والله أعلم " ^(١) ، وقول القرطبي (٦٧١هـ) : " وجاز سلام على التنكير ؛ لكثرة استعماله ، فحذف الألف واللام كما حذفت في لاَهُمَّ من قولك اللهم " ^(٢) ، ويذكر ابن عميرة (٦٥٨هـ) في حديثه عن البدء بلفظ (سلام) : " وخفَّ على ألسنتهم في الابتداء بإسقاط الحرفين ، وجاء الرد بهما حسناً لما فيهما من الإشعار بالعهدية " ^(٣) .

وهذه الأقوال تُحمل على التعليل لما يتخاطب به الناس من صيغ التحية ، إذ لا يمكن أن يُتصوّر التخفيف من أي حرف في كتاب الله جلّ وعلا .

ومن العلماء من يرى تفضيل التنكير ؛ لكثرة وروده في القرآن أكثر من التعريف يقول الكيا المهراس (٥٠٤هـ) : " ولكثرة ورود التنكير في القرآن - على ما بيّناه - فضّله بعضهم على التعريف " ^(٤) ، أو لهذا السبب مع أسباب أخرى ، كما يرى

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٠/١٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦٣/٩ .

(٣) التبيينات ٧٤ .

(٤) أحكام القرآن ٤٣٤/٢ .

ذلك الرازي (٦٠٦هـ) في أحد مواضع حديثه عن لفظ السلام بعد أن بيّن جواز الاستعمالين تعريفاً وتنكيراً إذ قال : " فثبت أن الكل جائز ، وأما في التحليل من الصلاة فلا بدّ من الألف واللام بالاتفاق ، واختلفوا في سائر المواضع أن التنكير أفضل أم التعريف ؟ فقيل : التنكير أفضل ، ويدل عليه وجوه :

الأول : أن لفظ السلام على سبيل التنكير كثير في القرآن ، فكان أفضل .
الثاني : أن كل ما ورد من الله و الملائكة والمؤمنين فقد ورد بلفظ التنكير - على ما عددناه في الآيات - وأما بالألف واللام فإنما ورد في تسليم الإنسان على نفسه ، قال موسى عليه السلام : ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتَّبَعَ الْهُدَى﴾ ، وقال عيسى عليه الصلاة والسلام : ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ .

الثالث : وهو المعنى المعقول أن لفظ السلام بالألف واللام يدل على أصل الماهية والتنكير يدل على أصل الماهية مع وصف الكمال ، فكان هذا أولى ^(١) ، وفي موضع آخر يشير إلى تفضيل صيغة التنكير ، ويكرر بعض ما قاله آنفاً ، ولكنه يزيد عليه بقوله : " فثبت بهذه الوجوه أن قوله (سلام عليك) أكمل من قوله (السلام عليك) ؛ فلهذا السبب اختار الشافعي رحمه الله في قراءة التشهد قوله " سلام عليك أيها النبي " على سبيل التنكير ^(٢) ، وإن كان هذا الرأي قد استند إلى استقراء ما ورد في القرآن من السلام معروفاً ومنكراً ، واعتمد في المفاضلة بين الصيغتين على كثرة الاستعمال ، ومنشأ التحية ، ودلالة اللفظة ، فإني أحسب أن هذا التفضيل ليس على إطلاقه ؛ لأنه قد ترك شيئاً مهماً ذكره ابن قيم الجوزية - وسبقت الإشارة إليه في البحث - وهو أن المعرفة يتميز باستصحابه لأحد أسماء الله جلّ وعلا ، وما في ذلك من تبرك ، وتعرض لما يحمله الاسم من معنى ، وهذا المعنى يحتاجه البشر في تحية بعضهم لبعض .

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٦٩/١٠ - ١٧٠ .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٦٤/١٦ - ١٤٥ .

ومن العلماء من ذكر ميزات في التعريف لم ترد ضمن دلالات التنكير ، وهذا مما يرجح جانب التعريف ، ومن ذلك الزمخشري (٥٣٨هـ) حيث أشار في حديثه عن تحية عيسى عليه السلام لنفسه إلى أن في " التعريف تعريضاً باللعة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود ، وتحقيقه أن اللام للجنس ، فإذا قال : وجنس السلام عليّ خاصة ، فقد عرّض بأن ضده عليكم ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى ﴾ يعني أن العذاب على من كذب وتولى ، وكان المقام مقام منكرة وعناد فهو مئة لنحو هذا من ' التعريض " (١) ، ويمثل هذا قال كلٌّ من الرازي (٦٠٦هـ) ، وابن عاشور (١٣٩٣هـ) (٢) ، وهذا تضاف دلالتان للتعريف هما الاختصاص ، وما يترتب عليه من التعريض ، وهاتان لم تردا في دلالات التنكير .

ومما سبق من عرض لآراء العلماء في تعريف لفظ السلام وتنكيره ، والمفاضلة بينهما نجد أن لكل صيغة منهما ميزات قد تشترك فيها مع الأخرى ، وقد تنفرد بها كما مرّ ، ولكن الفیصل في ذلك هو المقام الذي ترد فيه ، والسياق الذي يعين على اصطفاؤها ، وهذا مرتبط بمصدر التحية ، وبمن وجهت إليه .

ولهذا نلاحظ كما صرح الرازي أن التعريف لم يرد في القرآن إلا بتحية الإنسان لنفسه أو لغيره من بني جنسه ، وفي هذه الحال يكون استعمال التعريف أولى لاصطحاب دلالاته كلها .

أما حينما تكون التحية بصيغة التنكير فإن كانت من الله جلّ وعلا فيكفيها فضلاً أنها صدرت منه سبحانه ، وإن كانت من الملائكة أو الرسل لغيرهم ففي صيغة التنكير ما تشترك فيه مع صيغة التعريف مما يكفي في تحقيق القصد والله أعلم .

(١) الكشف ٥٠٨/٢ ، وينظر التفسير الكبير للفخر الرازي ١٨٤/٢٩ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي ١٨٤/٢١ ، وتفسير التحرير والتنوير ١٠٠/١٦-١٠١ .

وأما لفظ (سَلِمَ) فقد ورد في بعض القراءات لـ (سلام) في حال الرفع في آيتي هود والذاريات ، وهي قراءة حمزة (١٥٦هـ) ، والكسائي (١٨٩هـ) ، وخلف (٢٢٩هـ) ، ذكر ذلك الفراء (٢٠٩هـ) ، والراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) ، والرازي (٦٠٦هـ) ، والقرطبي (٦٧١هـ) ، وابن عاشور (١٣٩٣هـ)^(١) ، وهذه الصيغة تشترك مع صيغة التنكير ؛ لأنها مثلها نكرة ، ولكونها بمعنى : سلام ، مثل : حِلٌّ وحلال ، وحرم وحرام ، فتكون سلم وسلام .

غير أن ثمة اختلافاً عن صيغة (سلام) وهو أنه سيجرح كون الصيغة لا تكون نصاً للتحية ، بل هي أقرب إلى الحكاية ، ومما يوضح ذلك ما قاله الراغب (٥٠٢هـ) : " ومن قرأ (سَلِمَ) ؛ فلأن السلام لما كان يقتضي السلم ، وكان إبراهيم عليه السلام قد أوجس منهم خيفة ، فلما رآهم مُسلمين تصور من تسليمهم أنهم قد بذلوا له سلماً ، فقال في جوابهم : (سَلِمَ) تنبيهاً أن ذلك من جهتي لكم كما حصل من جهتكم لي " ^(٢) ، وهذا يعني أن جواب إبراهيم عليه السلام أقرب إلى الخبر منه إلى التحية ، والله أعلم .

المفردة الثانية هي الجار والمجرور :

الصورة الثانية من صور التحية ما جاء فيها لفظ السلام مع الجار والمجرور : جاءت الآيات التي اقترن فيها لفظ السلام بالجار والمجرور في ثمانية عشر موضعاً ، منها ستة عشر موضعاً جاء فيها الحرف (على) ، وفي موضع واحد جاء اللام (ل) ، وموضع واحد كذلك جاء فيه الحرف (من) ، ويلحظ أن الأغلب كان لعلی ، فما سرُّ ذلك ؟ ، وما تعليل اختلاف الموضعين الآخرين ؟

أما المجرور فهو إما اسم ظاهر أو ضمير ، وكان على النحو الآتي :

(١) ينظر على التوالي : معاني القرآن ٢٠/٢-٢١ ، والمفردات ٢٤٠ ، والتفسير الكبير للفخر الرازي

٢٠/١٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٥/١٧ ، وتفسير التحرير والتنوير ١١٧/١٢ .

(٢) المفردات ٢٤٠ .

جاء الاسم الظاهر في سبعة مواضع (مَنْ [اسم الموصول] ، وعباده الذين اصطفى ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى مع هارون ، وإل ياسين ، والمرسلين) عليهم السلام ، ويلحظ أن المحيّا فيها محدد إما بالعين وإما بالصفة ، وإن كان التحديد بالعين لا يحتاج إلى تعليل لموافقة الأصل ، فما سبب ما حُدّد بالصفة ؟

وجاء المجرور ضميراً في عشرة مواضع ، منها ستة مواضع ضمير جمع المُخاطَب (عليكم) ، وموضعان بضمير المفرد المخاطَب (عليك ، و لك) ، وموضع واحد بضمير المفرد المتكلم (عليّ) ، ومثل بضمير المفرد الغائب (عليه) .

وتمام المواضع الثمانية عشرة موضع واحد لم يقترن بمجرور ، وهو ما جاء فيه الجار الحرف (من) ، فما تعليل ذلك ؟

نوع الجار :

تبين من العرض السابق أن الحرف (على) كان له النصيب الأوفى ، فما سرُّ إثارة دون غيره من الحروف ؟

يلحظ ارتباط الحرف (على) بصيغة التحية أكثر من غيره من الحروف ، ولذلك يكاد يكون هو الحرف الثابت المصاحب لصيغة التحية ، وإن ورد غيره نادراً فله توجيه خاص كما سنعرف لاحقاً إن شاء الله .

وللحرف (على) مجموعة من المعاني أشهرها ، وأكثرها حضوراً في الاستعمال هو " الاستعلاء " سواء أكان استعلاءً حسيّاً أم معنوياً ، ولذلك كان هذا المعنى أوّلها ذكراً عند النحويين ^(١) ، وهذا المعنى هو المراد من (على) في صيغة التحية ؛ ليكون السلام والسلامة شاملة لمن وجهت إليه التحية ؛ ولهذا قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) في معنى (على) في صيغة التحية : " وعلى للاستعلاء المجازي ،

(١) ينظر : كتاب معاني الحروف للرماني ١٠٨ ، و مغني اللبيب ١٤٢/١-١٤٣ ، ومن أسرار حروف

الجر في الذكر الحكيم للدكتور محمد الحضري ٥٥ .

وهو التمكن " (١) ، وكرر الإشارة إلى دلالتها على التمكن (٢) ، وقال في موضع ثالث : و على " للدلالة على تمكن التلبس بالأمان " (٣) .

ومسألة الاستعلاء والتمكن لائقة جداً بغاية التحية ، فالغرض هو إشعار المحيَّ باستعلاء السلام والسلامة عليه وتمكنها منه ، وتلبسها به ، وهذا ما يزيد في طمأنينته؛ ولهذا كان الحرف (على) أقدر الحروف على تحقيق هذا المعنى ، والله أعلم .

وأختم الحديث عن هذا الحرف بإثارة موضوع قد يطراً على القارئ ، وهو ما سرُّ عدم ورود هذا الجار في بعض المواضع ؟ ، وهل ينقص عدم وروده من التحية ؟ وهذه المسألة تفصيل يحسن بيانه ، وهو أن التحية التي توجه لأهل الجنة تكون خالية من الجار والمجرور ، فهل هذا مطرد ؟ ثم ما سبب ذلك ؟

حين وقفتُ على تعليق ابن عاشور (١٣٩٣هـ) على قوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ

فِيهَا سَلَامٌ ﴾ والذي أشار فيه إلى تعليل حذف (عليكم) فقال : " ونكتة حذف كلمة "عليكم" في سلام أهل الجنة بعضهم على بعض أن التحية بينهم مجرد إيناس وتكرمة ، فكانت أشبه بالخبر والشكر منها بالدعاء والتأمين ، كأنهم يغبطون بالسلامة الكاملة التي هم فيها في الجنة ، فتنتلق ألسنتهم عند اللقاء معبرة عما في ضمائرهم ، بخلاف تحية أهل الدنيا فإنها تقع كثيراً بين المتلاقين الذين لا يعرف بعضهم بعضاً ، فكانت فيها بقية من المعنى الذي أحدث البشر لأجله السلام ، وهو معنى تأمين الملاقي من الشر المتوقع من بين كثير من المتناكرين ، ولذلك كان اللفظ

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٦/١٢١ .

(٢) ينظر : تفسير التحرير والتنوير ١٦/٢٣٠ .

(٣) تفسير التحرير والتنوير ٧/٢٥٨ .

الشائع هو لفظ السلام الذي هو الأمان ، فكان من المناسب التصريح بأن الأمان على المخاطب تحقيقاً لمعنى تسكين روعه " ^(١) هذا الأمر جعلني أنظر في موضوع تحية أهل الجنة ، أبطرُ فيها حذف عليكم ؟ لكي يستقيم تعليل ابن عاشور ! ، فوجدتُ أن ذلك قد ورد في ستة مواضع هي : (الآية ١٠ من سورة يونس) ، و (الآية ٢٣ من سورة إبراهيم) ، و (الآية ٦٢ من سورة مريم) ، و (الآية ٧٥ من سورة الفرقان) ، و (الآية ٤٤ من سورة الأحزاب) ، و (الآية ٢٦ من سورة الواقعة) ، فكل هذه الآيات تضمنت ما يحیی به أهل الجنة بعضهم بعضاً ، وجميعها اقتضت الصيغة فيها على لفظ السلام .

غير أني رأيتُ آيات موضوعها عن أهل الجنة ورد في التحية الموجهة إليهم لفظ (عليكم) ، فهل يجرم هذا ما أشار إليه ابن عاشور ؟
الآيات التي رأيت في هذا الموضوع أربع مصدر التحية في واحدة منها من أصحاب الأعراف إلى أهل الجنة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَنَهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ [سورة الأعراف ٤٦/٧] .

والثلاث الأخرى كانت من الملائكة لأهل الجنة ، وهي :

قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ۖ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [سورة الرعد ٢٣/١٣-٢٤] .

(١) التحرير والتوير ١٠٤/١١ .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ أَلْمَلَكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل ٣٢/١٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا
جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا
خَالِدِينَ ﴾ [سورة الزمر ٧٣/٣٩] .

فكل الآيات الثلاث من الملائكة لأهل الجنة ، فالأولى فيها تذكير لهم بما كان
سبب دخولهم الجنة ، وهو صبرهم على ما كانوا يعانونه في الدنيا ، والثانية من
الملائكة الموكلين بقبض أرواحهم ، وهذا سابق لدخولهم الجنة ، وفيها بشرى لهم ،
والثالثة عند استقبال خزنة الجنة لهم قبيل دخولهم فيها .

وعلى هذا فيكون تعليل ابن عاشور مطرداً في كون ذلك يجري بين أهل الجنة
بعضهم لبعض ، والله أعلم .

وأما ورود حرفين آخرين غير (على) في صيغة التحية ، فقد ورد ذلك في
موضعين :

الأول في قوله تعالى : ﴿ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [سورة الواقعة ٥٦/
٩١] ، والسلام في الآية ليس تحية مباشرة ، وإنما هو إخبار عما أعده الله لأصحاب
اليمين ، وكأنه قيل لمن يتوفى من هؤلاء فسلام لك أنت من أصحاب اليمين ،
ورجَّح ذلك الطبري ^(١) ، وعلى هذا فمجيء اللام هنا لكون لفظ السلام جاء
لإخبار المتوفى بأن السلامة له ؛ لكونه من أصحاب اليمين .

(١) ينظر : جامع البيان ٦٦٧/١١ ، وروح المعاني ١٥٩/١٤ .

والموضع الثاني : في قوله تعالى : ﴿ سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ [سورة يس ٥٨/٣٦] ، وهنا إخبار بمصدر السلام ، وأنه من الله جلّ وعلا .

ونخلص من ذلك بأن ما جاء بغير الحرف (على) ليس تحية مباشرة ، وإنما هو إخبار عن السلام أو السلامة ، وهذا يتفق مع ما سبق بيانه من كون (على) ركناً في صيغة التحية ، وما جاء من الحروف غيرها فهو مشعر بأن الصيغة غير مقصود بها نص التحية ، بل الإخبار عنها ، والله أعلم .

نوع المجرور :

لِحِظْ أن كل المجرور كان محددًا سواء بالعين ، أم بالصفة ، فإذا كان التحديد بالعين هو الأصل ، فما سبب ما كان تحديده بالصفة ؟
ما يندرج في الاسم الظاهر مما كان المحيّا فيه غير محدد بالعين وإنما بذكر صفته ، فهو ثلاثة :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النمل ٥٩/٢٧] ، فكل من اصطفاه الله من عباده سيشملة هذا السلام .

الثاني : في قوله تعالى : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الصافات ١٨١/٣٧] فكل من يدخل في صفة الرسالة يشمله ذلك .

والثالث : في قوله تعالى : ﴿ فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِيبَهُمْ ۖ قَدْ جِئْتَكَ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ ۖ أَهْدَىٰ ﴾ [سورة طه ٤٧/٢٠] ، ومع أن ظاهر الآية أن المخاطب بهذه التحية هو فرعون ، إلا أن المعنى يشمل كل من هداه الله إلى اتباع الهدى ، وكما مر في البحث

من دلالة هذه الصيغة التي أصبحت تقال لغير المسلمين فإن فيها إغراءً باتباع الهدى ،
وحنثاً على الدخول فيه .

ولذلك فما جاء لغير محدد بالعين ، فهو محدد بالصفة سواء من كان من عباد الله
الذين اصطفاهم بالرسالة أو بالإيمان ، أو باتباع الهدى .
وأما ما كان المجرور فيها ضميراً :

فما جاء منه بضمير جمع المخاطب (عليكم) فهو موافق للأصل ، فإن كان
المُسَلَّمُ عليهم جماعة فالأمر فيه واضح ، وإن كان المُسَلَّمُ عليه فرداً ، فتعليل استعمال
ضمير الجمع والمخاطب مفردٌ فإن ذلك موافق للشرع والعقل كما ذكر الفخر
الرازي (٦٠٦هـ) : " أما بحسب الشرع فلأن القرآن دلّ على أن الإنسان لا يخلو
عن جمع من الملائكة يحفظونه ، ويراقبون أمره ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ
لَحَافِظِينَ ﴾ كَرَامًا كَتَبِينَ ﴿ ، والعقل أيضاً يدل عليه ، وذلك لأن الأرواح
البشرية أنواع مختلفة . . . وإذا عرفت هذا السر فالإنسان لا بد أن يكون مصحوباً
بتلك الأرواح المجانسة له ، فقوله " سلام عليكم " إشارة إلى تسليم هذا الشخص
المختص على جميع تلك الأرواح الملازمة المصاحبة إياه بسبب المصاحبة
الروحانية " (١) ، وإن كان التعليل الأول للرازي - الخاص بموافقة الشرع - واضحاً
فإن تعليله الآخر نمتّ من التخيل الفلسفي ، ففيه يتصور أن الجمع في ضمير المخاطب
يناسب تنوع الأرواح البشرية ، وفي هذا التعليل بُعدٌ ، والله أعلم .

واختلف عن هذا النسق ما ورد في قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ
لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [سورة مريم ٤٧/١٩] ، فالضمير للمخاطب ،

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٤٥/١٦ .

ولكنه جاء بصيغة المفرد وليس الجمع ، وتعليله - والله أعلم - أن السياق يحكي محاوره إبراهيم عليه السلام لأبيه ، ويذكر الطبري تفسيرها بقوله : " قال إبراهيم لأبيه حين توعده على نصيحته إياه ودعائه إلى الله بالقول السيئ والعقوبة : " سلام عليك يأبى يقول : أمنة مني لك أن أعاودك فيما كرهت " ^(١) ، و قيل إن قوله (سلام عليك) سلام متاركة ^(٢) لأبيه الذي لم يستجب لدعوته مع إلحاحه عليه وتأدبه معه ، ولعل التحية بهذه الصيغة تؤكد مبدأ أدب إبراهيم مع أبيه ، وأن أفراد الخطاب فيه تأكيد على أنه بنفسه المقصود بهذا الحرص ، وتلك الدعوة ، والله أعلم .
وأما ما جاء بغير ضمير المخاطب ، فقد جاء مرتين :

إحدهما: بضمير المتكلم المفرد ، في سلام عيسى عليه السلام على نفسه ،
وثانيهما: بضمير الغائب في سلام الله جل وعلا على يحيى عليه السلام .

دلالة جملة التحية على الخبرية والإنشائية :

ربما يتساءل القارئ عن جملة التحية (سلام عليكم) أهى جملة خبرية أم إنشائية ؟ وما تأثير ذلك في تأدية وظيفتها ؟

لو تأملنا معنى التحية فسندرك أن الجملة (سلام عليكم) ظاهراً أنها جملة خبرية تفيد الإخبار عن وقوع السلام على المخاطب ، ولو أجريت على هذا الظاهر لفقدت شيئاً مهماً من دلالتها على التحية ، ولذلك فهي خبرية في ظاهرها إنشائية في معناها ؛ لأنها متضمنة معنى الدعاء ، كما أنها مشتملة على طلب ، فكأن قائل التحية ينتظر جواباً من سامعها ، ولو كانت خيراً محضاً لما انتظر القائل جواباً لها !

يقول القرطبي (٦٧١هـ) عن تحية الملائكة لأهل الجنة : " أي يقولون : سلام عليكم ، فأضمر القول ، أي قد سلمتم من الآفات والمحن ، وقيل هو دعاء بدوام

(١) جامع البيان ٣٤٩/٨ .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٩٥/٢١ .

السلامة ، وإن كانوا سالمين ، أي سلمكم الله ، فهو خير معناه الدعاء " (١) ، هذا يؤكد دلالة جملة التحية على الخبرية والإنشائية معاً ، والمخاطب بالصيغة أهل الجنة ؛ لأنه كان يمكن أن تقتصر على الخبرية ؛ لما ذكر من أن أهل الجنة متحقق لهم السلامة بمجرد دخولهم ، ومع ذلك فقد جعلها القرطبي خيراً بمعنى الإنشاء .

وقد وقف ابن قيم الجوزية عند قوله تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ

عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النمل ٥٩/٢٧] ،

وناقش مسألة دخول السلام في القول ، فيكون المعنى أن المأمور بقوله اثنان : قول الحمد لله ، وقول سلام على عباده ، فإذا كان الأمر كذلك تكون جملة السلام خبرية ؛ لأنها معطوفة على جملة الحمد لله ، وهي خبرية ، أما إن كان المأمور بقوله هو الحمد لله فحسب ، وتنتهي بذلك الجملة ، ويكون ما بعدها جملة مستأنفة وهي جملة (سلام على عباده الذين اصطفى) فتكون الجملة الثانية طلبية ، وتساءل عن صحة عطف الإنشاء على الخبر ، وبين أن هذا كثير (٢) .

أقول إن مسألة عطف الخبر على الإنشاء مسألة خلافية بين النحويين والبلاغيين ، فالبلاغيون يمنعون ذلك ، والنحويون يجيزونه ؛ لأنه كثير في القرآن وفي النثر والشعر (٣) ، والشاهد أن ما أورده ابن القيم يؤكد دلالة جملة السلام على الطلب . وهناك موضع آخر وردت فيه التحية ، وكان تصنيف الجملة فيه موضع خلاف ،

وهو قوله تعالى : ﴿ فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ

وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِمَّا آتَيْنَاكَ بِهِ ﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣١٢/٩ .

(٢) ينظر : بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٤٧/٢ .

(٣) ينظر : البحر المحیط لأبي حيان ٣٤٢/٨ ، و مغني اللبيب ٤٨٢/٢ .

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٧﴾ [سورة طه ٢٠/

٤٧-٤٨] ، فمن يرى أن قوله (الْأَسْلَامُ عَلَىٰ مَنْ أَتَّبَعَ الْهُدَى) تحية فهي محتملة للخير والإنشاء ، ومن لا يرى أنها تحية ، فإنه يقصرها على الخيرية فحسب ، وهذا ما ذهب إليه الزجاج (٣١١هـ) إذ قال : " ليس يعني به التحية ، وإنما معناه : أن من اتبع الهدى سلم من عذاب الله وسخطه ، والدليل على أنه ليس بسلام أنه ليس ابتداء لقاء وخطاب " ^(١) ، ويمثله قال القرطبي (٦٧١هـ) ^(٢) ، ولذلك صرح ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) بخيرية الجملة ، فقال : " وأما قول موسى (وَالْأَسْلَامُ عَلَىٰ مَنْ أَتَّبَعَ الْهُدَى) فليس بتحية ، فإنه لم يبتدئ به فرعون ، بل هو خير محض ، فإن من اتبع الهدى له السلام المطلق دون من خالفه ، فإنه قال له : ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَغْذِبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْتَنكَ بِقَايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ أَتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ ^(٣) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٧﴾ ، أفلا ترى أن هذا ليس بتحية في ابتداء الكلام ولا خاتمته ، وإنما وقع متوسطاً بين الكلامين ، إخباراً محضاً عن وقوع السلامة وحلولها على من اتبع الهدى " ^(٣) ، والحجة التي انطلق منها ابن القيم رحمه الله كون العبارة ليست تحية ، ولذلك تكون خبراً محضاً ، ولو أن العبارة كانت تحية لاحتملت الخيرية والإنشائية معاً ، وفي هذا دلالة على ثراء المعنى لهذه الجملة التي تحتل الدالتين معاً ، والله أعلم .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٥٨/٣ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠٣/١١-٢٠٤ .

(٣) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٤٥/٢ .

تكرار السلام في القرآن وغرضه :

ورد السلام مكرراً في موضع واحد هو قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا

وَلَا تَأْتِيَمًا ۚ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝ ﴾ [سورة الواقعة ٥٦/٢٦-٢٧] ، فلفظ

السلام تكرر هنا فما غرض هذا التكرار ؟

سياق الآية يتضمن الحديث عن أهل الجنة ، وما أنعم الله به عليهم من إكرامهم بعدم سماع اللغو ، وأن ما يسمعون هو سلام في إثر سلام ، وليس بمجرد تأكيد السلام ، يقول ابن عاشور (١٣٩٣هـ) : " وسلاماً الأول مقول " قِيلاً " أي هذا اللفظ الذي تقديره سلمنا سلاماً فهو جملة محكية بالقول ، وسلاماً الثاني تكرير لـ " سلاماً " الأول تكريراً ليس للتأكيد ، بل لإفادة التعاقب أي : سلاماً إثر سلام كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ ﴾ ، وقولهم قرأت النحو باباً باباً ، أو مشاراً به إلى كثرة المُسَلِّمين ، فهو يؤذن مع الكرامة بأنهم مبحلون .

والفرق بين الوجهين أن الأول يفيد التكرير بتكرير الأزمنة ، والثاني يفيد التكرار بتكرار المُسَلِّمين ، وهذا القيل يتلقونه من الملائكة الموكلين بالجنة ... ويتلقاه بعضهم من بعض " ^(١) ، وهذا الملحظ الجميل من ابن عاشور رحمه الله يكشف عن ذهن ثاقب ، وعلم غزير استطاع أن يبين به هذا الأثر لتكرار كلمة " سلاماً " .

تأكيد المدح بما يشبه ضده :

من يتأمل الآية السابقة التي تكرر فيها لفظ " سلاماً " يلحظ نوعاً بلاغياً جميلاً يسميه البلاغيون " تأكيد المدح بما يشبه الذم " ، ويقوم هذا النوع على أن يثبت لشيء صفة مدح ، وتعقب بأداة الاستثناء صفة مدح أخرى ^(٢) ، ومن يقرأ قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝ ﴾ فاستثناء السلام ،

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢٧/٢٩٧ ، وينظر : روح المعاني للألوسي ١٣٩/١٤ .

(٢) ينظر : التبيان للطبي ٣٩١ .

وهو صفة مدح من نفي سماع اللغو أو التأثيم ، وهي صفة مدح ، يوهّم أن المستثنى سيكون صفة ذم على افتراض أنه إن كان السلام لغواً أو تأثيماً فإن أهل اللجنة يسمعون اللغو أو التأثيم ، يقول ابن عاشور (١٣٩٣هـ) : " وهو استثناء من (لغواً ، تأثيماً) بطريقة تأكيد المدح بما يشبه ضده المشتبه بالبديع باسم " تأكيد المدح بما يشبه الذم " ، وله موقع عظيم في البلاغة ، كقول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب
فالاستثناء متصل ادعاءً ، وهو المعبر عنه بالاستثناء المنقطع بحسب حاصل المعنى ،
وعليه فإن انتصاب " قليلاً " على الاستثناء لا على البدلية من " لغواً " ^(١) ، ولعل
في هذا مزيد تكرم لأهل اللجنة .

وثمة أمور ذات صلة بعلاقة التحية بهذا اللون البلاغي يحسن بيانها ، وهي :

أولاً : اتصال الاستثناء أو انقطاعه :

إن محور تحديد اتصال الاستثناء أو انقطاعه يتعلق بتحديد العلاقة بين المستثنى
(سلاماً سلاماً) والمستثنى منه (اللغو والتأثيم) أي من جنس واحد ؟ فيكون
الاستثناء متصلاً ، أم من جنس مختلف ؟ ، فيكون الاستثناء منقطعاً .

الذي يلائم ظاهر الكلام هو أنهما من جنس مختلف ، فيكون القول - على
الظاهر - بأن الاستثناء منقطع ؛ لكون السلام ليس من جنس اللغو ، وبهذا قال
جمهرة من العلماء ^(٢) .

و يرى الفخر الرازي (٦٠٦هـ) أن الاستثناء متصل بحمله على التجوز في معنى
اللغو ، ويذكر أنه على غرار قولك " مالي ذنب إلا أني أحبك فلهذا تؤذيني ! " :

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢٧/٢٩٧ ، وينظر التفسير الكبير للفخر الرازي ٢١/٢٠٢-٢٠٣ .

(٢) ينظر : الاستغناء في أحكام الاستثناء للقرافي ٤٨٧-٤٨٨ ، ٥١٧ ، والإيضاح للخطيب القزويني

٥٢٤-٥٢٥ ، وعروس الأفراح (شروح التلخيص ٤/٣٩٢-٣٩٣) ، وروح المعاني للألوسي

١٣٩/١٤ .

" فتستثني محبته من الذنب ، ولا تريد المنقطع ؛ لأنك لا تريد بهذا القول بيان أنك تحبه ، إنما تريد تبرئتك عن الذنوب ... ومعناه : لا تجد ما يقرب من الذنب إلا المحبة فإن عندي أموراً فوقها إذا نسبتها إلى الذنب ... ، فيكون ذلك كقوله : " درجات الحب عندي طاعتك وفوقها " ... ﴿ لا يسمعون فيها لغواً ﴾ أي يسمعون كلاماً فائقاً عظيم الفائدة كامل اللذة أدناها وأقربها إلى اللغو قول بعضهم لبعض سلام عليك ، فلا يسمعون ما يقرب من اللغو إلا سلاماً ، فما ظنك الذي يبعد منه ؟ !! ، وحينئذ يكون اللغو مجازاً والاستثناء متصلاً " (١) .

وحكى القرافي (٦٨٢هـ) عن بعضهم (٢) أنه يرى أن الاستثناء في الآية متصل : " وقال بعضهم هو استثناء متصل من اللغو ؛ لأن الكلام اللغو هو الذي لا فائدة فيه ، والسلام وضعه في الدنيا الدعاء بالسلامة من الآفات ، وهذا متعذر في الجنة - أعني طلب السلامة - ؛ لأنها دار السلامة والكرامة ، فلو وقع الطلب فيها لكان طلب تحصيل الحاصل ، وهو محال وغير حسن ولا مشروع ، فيكون السلام في الجنة عرياً من معناه ، فيكون لغواً مستثنى من اللغو ، فيكون متصلاً " (٣) .

ولكن القرافي (٦٨٢هـ) يعترض على ذلك ، فيقول : " وأجيب بأن السلام كما هو دعاء بالسلامة فهو تحية وحسن لقاء ، ومسموع شهى ملذوذ للنفس طبع البشر على محبة سماعه ، فهو يقع في الجنة لهذه الأغراض الباقية بعد الدعاء ، فلا يكون لغواً ، فلا يكون الاستثناء متصلاً ، ويكون الانقطاع فيه من جهة أنه من غير الجنس " (٤) .

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٣٩/٢٩ - ١٤٠ .

(٢) ينظر : الاستغناء في أحكام الاستثناء للقرافي ٤٨٧ .

(٣) الاستغناء في أحكام الاستثناء للقرافي ٤٨٧ .

(٤) الاستغناء في أحكام الاستثناء للقرافي ٤٨٧ - ٤٨٨ .

ويرى الألوسي (١٢٧٠هـ) أنه لولا ذكر التأثيم لجاز جعل الاستثناء متصلاً ... ؛ لأنه لا يمكن جعل السلام من قبيله ^(١) .

وأضيف أن القول باتصال الاستثناء يؤدي إلى سوء أدب مع الله جل وعلا ؛ لاحتمال أن يكون سبحانه هو مصدر السلام ، فلا ينبغي - حينئذ - القول بدخول هذا السلام في حيز اللغو ، ولو كان تجوزاً والله أعلم .

ثانياً : تقديم اللغو على التأثيم :

ذكر الفخر الرازي أن تقدم اللغو على التأثيم ؛ لكون اللغو أعم ^(٢) ، فليس كل لغو يؤدي إلى التأثيم ، ولعله من تقدم السبب على المسبب ؛ لأن اللغو هو سبب التأثيم .

ثالثاً : علاقة المستثنى بإلا أيرجع إلى اللغو أم إلى التأثيم ؟

ويتضح من عرض ما سبق أن المستثنى راجع إلى اللغو على اعتباره استثناء منقطعاً وفق الظاهر ، أو على اعتباره استثناء متصلاً على التجوز في معنى اللغو وأما التأثيم فلا يمكن أن يرجع المستثنى له ، والله أعلم .

(١) ينظر : روح المعاني للألوسي ١٣٩/١٤ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي ١٣٩/٢٩ .

الخاتمة :

ورد ذكر التحية في القرآن الكريم في مواضع عديدة تصل إلى قرابة ثلاثين موضعاً جاءت الإشارة فيها إلى التحية سواء بنصها أم بالإخبار عنها ووصفها ، فحرص هذا البحث على دراسة تلك المواضع ، ورصد ما يمكن إبرازه من أوجه بلاغتها ، ومهدتُ لذلك بدراسة معنى التحية ، وبيان أنواعها وفوائدها ، ثم بيان المؤلفات في موضوع التحية ، سواء أكانت مؤلفات قديمة أم حديثة .

وبعد ذلك جاءت فقرُ البحث في ثلاثة مباحث ، فالمبحث الأول كان عن التحية في القرآن ، من حيث : مواضعها ، و ألفاظها التي وردت بها ، و العلاقة بين لفظ التحية ، والألفاظ ذات الصلة بها مثل : السلام ، والاستئناس ، والاستئذان ، والمبحث الثاني عرضُ أنواع التحية في القرآن من جانبين : الأول من حيث مصدر التحية ، ووجهتها ، والجانب الثاني أنواعها من حيث صيغها ، كتحية البدء ، وتحية المرء لنفسه ، والتحية لغير المسلم ، وتحية الرد ، وتحية المتاركة ، ثم الموازنة بين بعض الصيغ ، والمبحث الثالث كان عن المظاهر الأسلوبية في صيغ التحية ، فشمل الحديث مفردات التحية التي وردت في القرآن الكريم ، المفردة الأولى لفظ السلام ، وما وردت فيه من مواضع ، والمفردة الثانية الجار والمجرور ، و شمل هذا المبحث دراسة دلالة جملة التحية على الخبرية والإنشائية ، وتكرار السلام ، وتأکید المدح بما يشبه ضده ، وتوصل البحث إلى نتائج منها :

- ١- استنباط بعض المرجحات لكون التحية بنصها ، أو بحكايتها .
 - ٢- فمن مرجحات كونها نصاً : مجيء لفظ السلام مرفوعاً ، وكذلك ورود الجار والمجرور (عليكم ، أو عليك) بعده .
 - ٣- ومن مرجحات حكايتها : كون لفظ السلام منصوباً بالقول ، ومجيء اللفظ غير مقترن بالجار والمجرور ، أو كون الضمير فيه ليس للخطاب .
- أمل أن يكون هذا البحث قد حقق غايته ، والحمد لله أولاً وآخراً .

ثبت المصادر والمراجع :

- ١- آداب السلام والمصافحة والمعانقة والاستئذان ، لأبي حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، ط ٢ ، ١٤١٠هـ .
- ٢- الآداب الشرعية والمنح المرصية ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، د. ت .
- ٣- إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس ، لذي الوزارتين محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، تحقيق وتقديم د. محمد رضوان الداية ، عالم الكتب ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
- ٤- أحكام القرآن، لأحمد بن علي الرازي الجصاص ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، دار المصنف ، القاهرة ، د . ت .
- ٥- أحكام القرآن لابن العربي ، تحقيق محمد علي البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ٢ ، ١٣٨٧هـ .
- ٦- أحكام القرآن، للكنيا الهراس ، تحقيق موسى محمد علي ، والدكتور عزت علي عيد عطية ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، د . ت .
- ٧- أدب الكاتب ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ .
- ٨- أدب الكتاب، للصولي ، تصحيح محمد بهجة الأثري ، المكتبة العربية ببغداد ، والمطبعة السلفية بمصر ، القاهرة ، ١٣٤١هـ .
- ٩- الاستغناء في أحكام الاستثناء ، لشهاب الدين القرافي ، تحقيق الدكتور طه محسن ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، بالعراق ، ١٤٠٢هـ .
- ١٠- إصلاح المنطق ، لابن السكيت ، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦ م .

- ١١- أعضاء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي ، عالم الكتب ، بيروت ، د ، ت .
- ١٢- الإعلام ببعض أحكام السلام ، لعبد السلام بن برجس العبد الكريم ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٢هـ .
- ١٣- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق مشهور حسن سلمان ، دار ابن القيم ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٠هـ .
- ١٤- الأوائل، لأبي هلال العسكري، تحقيق الدكتور وليد قصاب، ومحمد المصري ، دار العلوم ، الرياض ، د . ت .
- ١٥- الإيضاح ، للخطيب القزويني ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩٥ هـ .
- ١٦- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ، جمع وتوثيق يسري السيد محمد ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٤هـ .
- ١٧- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ، تحقيق معروف مصطفى زريق ، ومحمد وهي سليمان ، وعلي عبد الحميد بلطه جي ، دار الخير ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ .
- ١٨- البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، مطبعة السعادة ، ط ١ ، ١٣٨٤هـ .
- ١٩- البرهان في علوم القرآن، للزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، د . ت .
- ٢٠- البرهان في متشابه القرآن، للكرماني ، تحقيق أحمد عز الدين خلف الله ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ١ ، ١٤١١هـ .
- ٢١- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، لكمال الدين الزملكاني ، تحقيق الدكتورة خديجة الحديثي ، والدكتور أحمد مطلوب ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط ١ ، ١٣٩٤هـ .

- ٢٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي ، تحقيق عبد العليم الطحاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .
- ٢٣- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للسيد محمود شكري الألوسي ، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .
- ٢٤- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان ، لشرف الدين الطيبي ، تحقيق الدكتور هادي عطية مطر الهلالي ، عالم الكتب ، ومكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ .
- ٢٥- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، للإمام أبي العلاء محمد بن عبد الرحمن المبارك فوري ، ضبطه وراجع أصوله وصححه عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر للطباعة والنشر .
- ٢٦- تحية السلام في الإسلام: أحكام وآداب، للدكتور عبد الله بن محمد الطريقي، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ .
- ٢٧- تذكير الأنام بأحكام السلام ، لعبد الله بن جار الله الجار الله ، دار الصميعي ، الرياض ، ١٤١١هـ .
- ٢٨- تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ .
- ٢٩- تفسير التحرير والتنوير ، للعلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .
- ٣٠- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٣م .
- ٣١- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، للفخر الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ .

- ٣٢- التنبهات على ما في التبيان من التمويهات، لأبي المطرف بن عميرة ، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة ، ط ١ ، ١٤١٢هـ .
- ٣٣- تيسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ عبد الرحمن السعدي ، تحقيق محمد زهري النجار ، عالم الكتب ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ .
- ٣٤- الجامع ، للإمام معمر بن راشد الأزدي = انظر المصنف ، للحافظ أبي بكر عبد الرزاق الصنعاني .
- ٣٥- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ .
- ٣٦- جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ .
- ٣٧- الحيوان ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، المجمع العلمي العربي الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .
- ٣٨- دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق الشيخ محمود شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ .
- ٣٩- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، لمحمد بن علان الشافعي ، دار الفكر، بيروت ، د . ت .
- ٤٠- ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ .
- ٤١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة الألوسي ، ضبط وتصحيح علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ .
- ٤٢- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية ، تحقيق وتخريج شعيب الأرنؤوط ، وعبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٢هـ .

٤٣- الزاهر في معاني كلمات الناس ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٤٤- شرح التلخيص ، للشيخ أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرقي ، دراسة وتحقيق الدكتور محمد مصطفى رمضان صوفيه ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس ، ليبيا ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢هـ / ١٩٨٣م .

٤٥- شرح الحافظ ابن القيم الجوزية لسنن أبي داود ، ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، منشور مع عون المعبود ، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ .

٤٦- شرح عقود الجمان، للسيوطي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ، ١٣٥٨هـ .

٤٧- شرح لفظ التحيات، لابن الخيمي ، ضمن ثلاث رسائل في اللغة ،

٤٨- شروح التلخيص (مختصر التفتازاني ، ومواهب الفتاح ، لابن يعقوب للمغربي ، وعروس الأفراح ، لبهاء الدين السبكي ، وحاشية الدسوقي على شرح السعد ، إضافة إلى الإيضاح للقزويني) ، دار السرور ، بيروت ، د.ت .

٤٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، للقلقشندي ، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ .

٥٠- عقد الزبرجد في تحية أمة محمد ، أسعد العصيمي ، الدار السلفية ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .

٥١- عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي ، مع شرح الحافظ ابن القيم الجوزية ، ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ .

- ٥٢- غداء الألباب لشرح منظومة الآداب ، للشيخ محمد السفاريني الحنبلي ، مؤسسة قرطبة ، د . ت .
- ٥٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، قراءة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، دار الفكر ، د . ت .
- ٥٤- فتح السلام في أحكام السلام، لمساعد بن قاسم الفالح ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٦هـ .
- ٥٥- فضل الله الصمد في (توضيح الأدب المفرد للإمام البخاري) تأليف فضل الله الجيلاي ، تخريج وتحقيق محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، والمكتبة السلفية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ .
- ٥٦- القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ .
- ٥٧- الكاشف عن حقائق السنن (شرح الطيبي لمشكاة المصابيح) ، لشرف الدين الطيبي ، تحقيق المفتي عبد الغفار ، ونعيم أشرف ، ومحّب الله ، وشبير أحمد ، وبديع السيد اللحام ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .
- ٥٨- كتاب معاني الحروف ، لأبي الحسن الرماني ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شليبي ، دار الشروق ، جدة ، ط ٣ ، ١٤٠٤هـ .
- ٥٩- الكشف عن حقائق التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشري دار المعرفة ، بيروت ، د.ت .
- ٦٠- لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، د.ت .
- ٦١- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب ، تحقيق ياسين محمد السواس ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط ٢ ، د . ت .

- ٦٢- المصنف ، للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، ومعه كتاب الجامع ، للإمام معمر بن راشد الأزدي : رواية الإمام عبد الرزاق ، تحقيق وتخرّيج وتعليق حبيب الرحمن الأعظمي ، توزيع المكتب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ٦٣- معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠م .
- ٦٤- معاني القرآن وإعراجه ، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري ، شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ .
- ٦٥- معجم المناهي اللفظية، للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٠هـ .
- ٦٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام ، تحقيق الدكتور مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، ط ٥ ، ١٩٧٩م .
- ٦٧- المفردات، للراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨١هـ .
- ٦٨- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من آي التنزيل ، لابن الزبير الغرناطي ، تحقيق سعيد الفلاح ، دار المغرب ، ١٩٨٣م .
- ٦٩- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، للدكتور محمد الأمين الخضري ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ .
- ٧٠- منال الطالب في شرح طوال الغرائب ، لجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير ، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، مطبعة المدني بمصر .

- ٧١- منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، لابن الجوزي ، تحقيق محمد السيد الصفطاوي ، والدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، د . ت .
- ٧٢- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، لابن الجوزي ، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ .
- ٧٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للبقاعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ .
- ٧٤- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، للفخر الرازي ، تحقيق الدكتور بكري الشيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥م .
- ٧٥- النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير ، تحقيق الدكتور طاهر أحمد الزاوي ، والدكتور محمود محمد الطناحي ، دار الفكر ، لبنان .